دول العرب وعظماء الإسلام

نظم

أحمد شوقي بك

طبع بعد وفاته

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

١٩٣٣

توّج هذا الكتاب برفعه الى حضرة صاحب الجلالة

الملك المفدى فؤاد الاوّل النّصير الاكبر للعلوم

والآداب والفنون ايّده الله وادام عزّه وتمكينه

وكان اهداؤه الى السدّة السّنية على يد حضرة

صاحب المعالى حلمى عيسى باشا وزير المعارف العموميّة

يوم تشرفت الجامعة المصرية بزيارة مؤسّسها

الأعظم ومؤازرها الاكرم

فى يوم السّبت ٢٠ شوّال سنه ١٣٥٠ ـ ٢٧ فبراير سنه ١٩٣٢



بسم الله الرحمن الرحيم

هذه دُرّة فى تاج الأدب . وغُرّة فى جبين القريض . نظَمَ أمير الشُعر عِقْدها وصاغ معناها ولفظها . وهو يُعانى ألم النفى . ويتجرّع غُصَص النوى . إبّان الحرب العالميّة الكبرى . بين رُبوع الأندلُس . التى عمّر الإسلام فيها ثمّ دَرَس . ونما وترعرع وأزهر . ثم ذَوَى وأقْفَر

وليس ثمّة مواقع أشحذ للذهن وأنضَى للخيال من مثل تلك المواقع والمشاهد . التى أوْحت الى شوقى بك . رحمة الله عليه . أن ينظم هذه الأرجوزة الخالدة . فى « دول العرب . وعظماء الإسلام » . فلا غرْوَ اذا جاءت فى بابها آية . وأوفت فى بلاغتها على الغاية . وكانت جدّ حقيقة أن تتجلى بمظهرها الرائع . فى سِفْرٍ مستقلّ . وأن تحظى من العناية بضبطها . واتقان طبعها وتصحيحها . بما يكفل الاقبال عليها والانتفاع بها . إن شاء الله تعالى

محمود خاطر

مطبعة مصر فى ٥ مارس سنة ١٩٣٣

مقدمة

الحمــدُ لله القديم الباقى ذى العرش والسبعِ العُلا الطِّباق

الملكِ المنفردِ الجبّار الدائمِ الجلالِ والإكبار

وارثِ كلِّ مالكٍ وما مَلَكْ ومُهلكِ الحيِّ ومُحيي مَن هلَك

مُنزّلِ الذِّكرِ بخيرِ الألسنِ مشتملا على البيانِ الأحسنِ

أوحى الى رسوله ما أوْحى من كلِّ غرّاء تُضيء اللوْحا

وقصّ أنباء القرون فى السُّوَرْ مَواثِلَ الحسنِ كأمثال الصُّوَرْ

وأفضلُ الصلاة والسلامِ على أجلِّ رسُلِ السلام

من بلغتْ أمتُه به الأربْ ورفعتْ همتُه ذِكرَ العربْ

صلّى عليه اللهُ فى سمائهِ وعرشِهِ السابحِ فى أسمائهِ

وجعل الجنةَ من رحابهِ وزفّها لمحسنِى أصحابهِ

خلائفِ الحقِّ أئمةِ الهدى الرافعين بَعدَه ما مَهّدا

الفاتحين بالقنا للحقّ المنقذين من قيود الرقّ

وجعل الخُلْدَ نظامَ الآلِ ومن تلا الوُسطى من اللآلى

بنى علىٍّ وبنى العبـاس زواخرِ الجودِ ، أسودِ الباس

الأكرمين نسباً مُطهّرا الأرفعين حسباً ومظهرا

وبعد ، فاسمعْ يا بُنىّ وافهم … لا تأخذِ الأمورَ بالتوهّمِ

لما رمى اللهُ بهذى الحربِ … على بنى الشرق وأهل الغربِ (١)

لحكمةٍ يعلمُها تعالى … علا من أسرارها الأقفالا

يُبرزها غداً من الخِباء … إن غداً يأتيك بالأنباء

تحركتْ سواكنُ الأقدارِ … واطّردتْ عواملُ الأكدار

وحكمَ اللهُ بهجرةِ الوطنْ … وطالما ابتلى بها أهلَ الفِطَنْ

فكنتُ أستعدِى على الهمومِ … بناتِ فكرٍ ليس بالملومِ

أستدفِع الفراغ والعَطالهْ … وبطلٌ من يقتلُ البَطالهْ

حتى أراد اللهُ أن نظمتُ … من سِيَرِ الرجال ما استعظمتُ

علماً بما تبعثُ فى الأحداثِ … جلائلُ الأعمال والأحداثِ

إن الصبىّ ما تُغذّيه اغتذى … فأكثرْ عليه فى المثال المحتذى

واخترتُ بحراً واسعاً من الرَّجَزْ … قد زعموه مركباً لمن عجزْ

يرونْ رأياً وأرى خلافَهْ … الكأسُ لا تُقوِّمُ السُّلافَهْ

وقيمةُ اللؤلؤِ فى النُّحورِ … بنفسه وليس بالبحورِ

شعرٌ لزِمتُ فيه ما لا يَلزمُ … وتركُه أليقُ بى وأحزمُ

والحسنُ ما لم يكُ فى الكلام … عرّضك التحسينُ للملام

جاريتُ بالصّلدِ النميرَ الجارى … قد يخرجُ العذبُ من الأحجار

---

(١) الحرب العالمية

دعا التحـــــدّى خاطرى فلبّى يحذو مِثالَ السّلَفِ الأُلِبّا
وما أَيِستُ من كريمٍ يُغضى ولا أمنت حاسـداً ذا بُغضِ
وربما ضُقتُ من الأمثالِ ما جاوز الجُرأةَ من أمثالى
ليجدَ الناشىء فى الجديدِ من لذةٍ ما ليس فى الترديدِ
فان تجدْ عيباً فكن عينَ الرضى أو مُرّ مرّ الكرماء مُعرِضا

لغة العرب

تبارك الرحمنُ ذو الإحسانِ ‏ ‏ ‏ ‏ ميّزَ الإنسانَ باللسانِ

لولاه لم ينهضْ بسائرِ النِّعَمْ ‏ ‏ ‏ ‏ ولا عدا فى الأرض سائمَ النَّعَمْ

فهو أداةُ العلمِ والبيانِ ‏ ‏ ‏ ‏ وهيكلُ الحكمةِ والأديانِ

ومفجرُ الفكرِ والاختراعِ ‏ ‏ ‏ ‏ ومُستقَى اللَّهاة[1] واليراعِ

وصَدَفُ المنظومِ والمنثورِ ‏ ‏ ‏ ‏ ومُصحَفُ المعلومِ والمأثورِ

ومُسكةُ العُمرانِ بين الناسِ ‏ ‏ ‏ ‏ على العصورِ وعلى الأجناسِ

رُبَّ لسانٍ جمع الأقواما ‏ ‏ ‏ ‏ وكان كالجنسِ لهم قِواما

واستمسكتْ واعتصمتْ به الفِطَنْ ‏ ‏ ‏ ‏ كعُروةِ المِلّةِ أو حبلِ الوطنْ

وربَّ شعبٍ نال مجداً باللغهْ ‏ ‏ ‏ ‏ لم يبلغِ الأقوامُ فيه مبلغَهْ

كانت له فى ظلِّها حضارهْ ‏ ‏ ‏ ‏ رفَّتْ نعيماً وجرتْ نضارهْ

سالت على الأجيال من ضياءْ ‏ ‏ ‏ ‏ وأترعتْ قرائحَ الأحياءْ

* * *

وكلُّ حُسنٍ كامنٍ أو بادِ ‏ ‏ ‏ ‏ أودعه اللهُ اللسانَ البادى

هذّبه العَرَضُ على الأذواقِ ‏ ‏ ‏ ‏ فيما يقيمُ القومُ من أسواقِ

---

(١) اللسان

على عُكاظَ[١] تتبارى الجِنّهْ ... وفوق ذى[٢] المجاز والمجنّهْ

ويخطبُ الكُهّانُ فى المواسمِ ... سجْعَ الحَمام فى الربا النواسمِ

فتأخذُ القبائلُ البيانا ... أخذَكَ من مَعدِنه العِقيانا

مُهذَّبا مُنقّحا مُنقّى ... مُلقّنا من نفسه مُلقّى

فى شِرعةِ القول هو النّمير[٣] ... وهو على عيونه الأميرُ

مِن لفظِ اسماعيلَ فيه حُسْنُ ... تمشّقته فى الرسول اللُّسْنُ

به تحلّى وبه تباهى ... وبَزّ فى الفصاحة الأشباها

***

ولم يزلْ تاجَهمُ الكلامُ ... والأمراءُ الصّاغةُ الأعلامُ

مُجمّلين باللسان الأبْيَنِ ... بمثله يونانُ لم تَزَيّنِ

حتى حباه اللهُ بالجزيلِ ... واختاره للوحيِ والتنزيلِ

شريعةٌ فجّرها بحرانِ ... بالعلم والحكمة يزخرانِ

طامٍ من الوحيِ فُراتُ المشرعِ ... فى زاخرٍ من الحديثِ مُترَعِ

فاضا على الصِّيدِ مُلوكِ البيدِ ... بَنى زُهيرٍ وبنى لَبيدِ

فأوردا القرائحَ القَراحا ... بل وَجدا ماءً فكانا الراحا

فلا تسلْ عن نهضةِ العقولِ ... وكثرةِ المعقول والمنقولِ

---

(١) متسوق للعرب بصحراء بين نخله والطائف كانت تقوم هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يوما وقيل شهراً تجتمع فيها قبائل العرب فيتناشدون ويتفاخرون ويتبايعون. (٢) سوقان للعرب من طراز عكاظ. (٣) الماء الصافى.

وما أطال الدين من بُنيانِ ... للعلم فى الدنيا وللبيانِ

ظلّتْ تُعينُ المُصلحينَ الضادُ ... وظل للعلم بهــــا اعتضادُ

حتى استقلّتْ دَولة الرشيدِ ... ونهضتْ بركنها المَشيدِ

تُعيرُها فارسُ واليونانُ ... كما تَهادى الزهرَ الجنانُ

وكلُّ وَردٍ رائعٍ غريبِ ... فى أرض جُودٍ ليس بالغريبِ

ما أخذتْ غيرَ صَفِىّ الرُّوحِ ... كاللطفِ من روحٍ سرَى لروحِ

ترى الدخيلَ بالأصيل أشكلا ... لم يُفسِدِ القومُ عليه الهيكلا

ما وسِعَ العلمَ والاختراعا ... أرحب منها فى اللغَى ذراعا

توطّنتْ مُختلِفَ البـــلادِ ... واحــدةَ المَغرِسِ والميــلادِ

كالشمس، بنتُ الفلكِ المُدارِ ... وكم على الأرضِ لها من دارِ

الأرضُ شتّى والبيانُ مؤتلِفْ ... كالراح دارتْ فى إناءٍ مختلِفْ

اغترفَ الوليدُ من جريرِ ... والمتنبّى قائــدُ الضريرِ[1]

وحثَّ فى الشرق النواسىُّ القدحْ ... وفى رُبا الغرب الخفاجىُّ صَدَحْ[2]

فى كل فنّاءٍ هَزارٌ شــادِ ... وكلُّ ظلٍّ موضعُ الإنشادِ

***

هــذا لسانُ القوم يا بُنَيّا ... على أســاسٍ ثابتٍ مَبنيّا

أوديةٌ تُنضِى[3] الخيالَ فُسحهْ ... جرتْ عليهــا للجَمال مَسحهْ

تنزِلُها أوانسُ المعــانى ... بين مَمينِ اللفظ والمغانى[4]

---

(١) اشارة إلى أبى العلاء . (٢) ابن خفاجه الأندلسى . (٣) تسيله . (٤) المغانى المباءة والمنزل .

لسانُكَ الأوَّلُ فى الكُتَّابِ ولُغَــةُ الصَّبْوَةِ والعتابِ
فخُضْ عُبابَ فقهِهِ وسرِّهِ وغُصْ على صحيحه وحُــرِّهِ
لا تَرْضَ منــه مَبلغَ الرَّعاعِ وحِصَّةَ الأعمَى من الشُّعاعِ
واقرأْ علومَ السَّلَفِ الأعـلامِ فإنهـــا مَعالِمُ الكلامِ
رُبَّ قـديمٍ كشُعاعِ الشَّمسِ ابنِ غـدٍ واليومِ وابنِ أمسِ
وخـلِّ ما زَيَّفَتِ الليـالى وما نفتْ صيارفُ[1] الأجيـالِ
ولا تضَعْ من الجـديد كلَّه يفُتْكَ وضـعُ الشىء فى محلِّهِ
ربَّ جـديدٍ عنـده المُعوَّلُ وربَّ كنزٍ لم يُثِرْه الأوَّلُ
إنَّ طريقَ العقـل لا يُسَدُّ ومَذهبُ الأفكار لا يُحَدُّ
بين الجديدِ والجـديدِ مَيْلِ لاتتَّبـعْ طريقـةَ الشُّمَّيْلِ[2]
لا تَخلِطِ الأعجامَ بالأعـرابِ تَحجلْ — وقاكَ اللهُ — كالغُرابِ!
وكلُّ ما لم يرْمَ عن قوسِ العربْ فليس فى نبعٍ لهم ولا غَرَبْ[3]
فاجرِ على محاسنِ اللسانِ تَجَـلُّ فى مواطنِ الإحسـانِ
وامشِ بآدابِ الكتابِ تهتدِ وقِفْ بأبواب الحديث واجتهِـدِ
هما هما القـالبُ فيـه يُفْـرَغُ ومَعدِنُ الحسْنِ الذى لا يَفرَغُ

---

(١) مارفض النقاد من الأجيال . (٢) كاتب مفكر وطبيب كبير كان يعيش فى الجيل الغابر وكان له مذهب فى التجديد يبالغ فيه . (٣) شجر يقال سهم غرب كما يقال سهم نبع وهو شجر أيضاً تتخذ منه السهام .

التاريخ

مَن سخّرَ الصخرَ الأصمّ للقلمْ ... حتى جرى نوراً عليه فى الظُّلَمْ ؟

يُضيء أثناء الصّفا وطوراً ... يَنجُدُ كهفاً بالسّنى وغوْرا [1]

لكل شىء عُنصُرٌ ومَنْحِتُ ... وما أبو الأقلام الا المنحتُ [2]

كم دُمْيةٍ ممّا جلا مُخلّقهْ ... مُغنيةٍ ما أغنتِ المُعلّقهْ

قديمةٌ تُعرِّفُ الحديثا ... حادثةً فى الدهر أو حديثا

قد نشأ التاريخ فى حِجْر الحجرْ ... وشبّ ما بين الكهوف والحُجَرْ

أليس فى الصخر وفى الأديم ... جُلُّ حديثِ العالَم القديم ؟

وياسق بَرْدِىَّ [3] مصرِ ساقِ ... يُمرِعُه من عَذْبٍ لساقِ

ولا يزلْ رهينةَ الخزائنِ ... من كرم ضنينةَ المدائنِ

يُفدَى وإن جفّ بليّن السّرقْ [4] ... ما آيةُ الخزّ كآيةِ الورقْ

ساق الينا الثمرَ العُجابا ... وأنجبتْ أوراقُه إنجابا

لا كالرياحينِ ولا البقولِ ... لكن تبنّى ثمرَ العقول

* * *

(١) الصفا الحجر وكل هذا اشارة الى النقوش والكتابات فى الكهوف والأحجار. (٢) المنحت المعدن من منحت الحجارة وهو موضع نحتها والمراد النقوش على الحجارة والآثار. (٣) البردى نبات كالقصب كان قدماء المصريين يستخدمون قشره للكتابة. (٤) الحرير.

سبحانَه قصَّ حديثَ آدمِ ... على تنائى العهد والتقادُم

ورفع التاريخ أعلى منزِلهْ ... بنصِّه فى كُتبِــهِ المُنزّلهْ

بين الأناجيل عَلَتْ أصولُهُ ... وفى الحواميم[1] غَلَتْ فصولُهُ

ألم يكُ التاريخُ ظِلَّ العالَمِ ... وأقدمَ الأعلام والمعالِمِ ؟

توهَّمَ الخُلْدَ به الأوائلُ ... وظنَّ أنْ نال البقاءَ الزائلُ

وطُلِبَ الصِّيتُ به قديما ... والذِّكْرُ فوق الأرض مُستديما

والنفسُ ترجو همَّةَ الخلودِ ... فى العلم والبُنيان والمولودِ

تَوهَّمُ الحياةَ بعد موتِ ... وتزعمُ الوجدانَ بعد فَوتِ

ضاقتْ على النوابغ الآجالُ ... فكان فى الذكر لهم مَجالُ

فى كل ذى روحٍ هوى الحياةِ ... أودعه مُصرِّفُ الآياتِ

فكُنْ إذا أحببتَها فخمَ الهوى ... لا تكُ والشاةَ على حدٍّ سَوا

انظُرْ إلى الآباء كيف هاموا ... بالخُلْدِ واحتالت له الأفهامُ

رمسيسُ وهْو فى البناء من هُوَا ... تمشّقَ الذِّكْرَ فغالى فى الهوى

ما زال حتى غصبَ الآثارا ... على الملوك قبلَه استئثارا

أخّرَ فى عصورها وقدّمَا ... وانتحلَ المُرقَّعَ المُهدَّما

يَسرِقُ آثارَ بنى أبيـــه ... وما لِما شَيَّدَ من شبيهِ

***

مَن دَرَسَ التاريخَ أو مَن دَرَّسهْ ... يمضى الزمانُ وهما فى المدرسهْ

---

(١) سور القرآن .

لا يبلغان فى الكتاب غايهْ ... ولا الكتابُ بالغ النهايه

ذاك كتابُ الناس والأيامِ ... من آدمَ الجَدِّ إلى القيامِ

تأنّقَ الدهرُ به ما شاء ... وأتقن التأليفَ والإنشاء

أنفقَ فيه زمنَ الشباب ... وما أتمّ فيه غيرَ باب

يكبُرُ أن يطويَه السّجِلُّ ... وعن نوائب البِلى يجِلُّ

عالٍ على كفّ المُغيرِ الماحى ... ولو مشتْ عليه بالرماحِ

مستهزئٌ بالغاشم البليدِ ... تهازُؤَ المصحفِ بالوليدِ[1]

لا يمحى من الجميل ما رسَمْ ... ولا يزول فى القبيح ما وَسَمْ

فإن وجدتَ خاطراً مُطالِبا ... ونازعاً من الطباع غالِبا

فقِفْ على آثار أعيان الزمنْ ... واغشَ الطُّلولَ وتنقّلْ فى الدِّمَنْ

وعالجِ النجوى والادّكارا ... يُهيّئا للحكمةِ الأفكارا

وحكمةٌ تُودِعُها الأخبارُ ... فالرّوحُ فى التاريخ الاعتبارُ

وخُذْه من مُحقّقٍ أمينِ ... ومَيِّزِ الغثَّ من الثمينِ

إياكَ والمُؤرِّخَ المِقَصّا ... ما كلُّ مَن قصَّ فقد تقصّى

وقدِّمِ المُبرِّزَ المُبينا ... تجِدْه فى مَظِلّةٍ مبينا

وتلقَ منه جَوْهراً أو صائغا ... وتُسْقَ فى القصةِ عَذْباً سائغا

فمن كريمِ الشعر والبيانِ ... عينانِ فى التاريخ تجريانِ

لولا أوابِدٌ[2] من البوادى ... مشتْ على أيامِها العوادى

---

(١) إشارة إلى قصة الوليد مع المصحف . (٢) الأوابد الغرائب .

الشعرُ بعد موتها أحياها   في شعرها تمثّلتْ دنياها

وإن ملكتَ مرةً أن تصنَعهْ   فاخشَ بأَن تخلُقَهُ وتصنَعَه

وهبْه لم يأمَنْ عواديَ العبَثْ   أليس كالكيرِ[1] الذي ينفي الخَبَثْ

ما أقبح الكِذْبَ على الرُّفاتِ   والكذِبُ من أراذلِ الصفاتِ

من غشَّ نفساً جَمعَ المظالما   ماذا ترى فيمن يغشُّ عالَما ؟

(١) زق ينفخ فيه الحداد .

الوطن

وجانبٍ من الثرى يُدعَى الوطنْ ... مِلْءُ العيونِ والقلوبِ والفِطَنْ
مُزَيَّنٌ للآدميّ العـاقلِ ... وكلِّ سهْليٍّ[1] وكلِّ عاقلِ[2]
والأسـدِ الخادرِ في البوادي ... والنّملِ فيما اتّخذتْ من وادِ
ونَزْعـةُ النـاس الى أوطانِهـا ... كنَزْعةِ الأبْـلِ الى أعطانِهـا
يُحبّه الأقوام منـــذ كانا ... ولا يُساوون به مكانا
إذا أتاهم أيْسَرُ النّـداءِ ... مِنـه جرَوْا لغاية الفـــداءِ
أو ذُكِرِ الحنينُ والحِفاظُ ... لم تجـــر الا باسمه الألفاظُ
كم من دماء سِلنَ حولَ حوضهِ ... ومن عُروضٍ زُلنَ دون عِرضهِ
وفي ســـبيله قضى رجالُ ... من أن يُلاقَوْا تستحي الآجالُ
وباسمه كم تاجَـــرَ الفُسّاقُ ... وانقادتِ النـاسُ لهم فساقوا

* * *

وَتـكرُمُ الدارُ على الحرّ الأبي ... كـرامةَ الأمّ عليه والأبِ
وليس من عِرضٍ ولا حريم ... تحميه فوق الوطن الكريم
الجسمُ من تُربتـه ومائهِ ... والرُّوحُ رَوْحٌ هبّ من سمائهِ
وكلُّ ما حولك من هِبـــاتِهِ ... وما وَلَدْت فهو من نباتِهِ

---

(١) ساكن السهل (٢) ساكن الجبل كالوعل

أمانةُ الأوّلِ عنـد الآخرِ | خِزانةُ الآثارِ والمفـاخرِ
وحوضُ ما جفّ من الشبـابِ | وقَصَفَ الدهرُ من الأحبابِ
ورَسْمُ ما بان من الليـالى | وأثرُ الأيام فى الخيـالِ
ومُخلِقُ الشبـابِ والمشيبِ | ومُلبسُ البـالى على القشيبِ
وفى ثراه البلقعِ اليبابِ | ما شئتَ من أهلٍ ومن أحبابِ
وَفِىٌّ له من ليس بالوفىّ | وهشّ من لم يكُ بالحفىّ

***

والمُلْكُ كالناسِ له أوطانُ | يَنظِمُها للأممِ السلطانُ
يَدينُ جنسٌ سائرَ الأجناسِ | ويدّعى ناسٌ وَلاءَ ناسِ
يأتمرُ الضعيفُ بالقـوىّ | ويأمُرُ الراشـدُ فى الغَوِىّ
فى دُولةٍ ممـدودةِ الطِّرافِ | مشـدودةِ البُهرةِ(1) بالأطرافِ
بلّغها العنفُ ذُرا الإقبـالِ | كالريح تبنى الماء كالجبـالِ
هبّتْ ضُحًى عليـه فاشمخرّا | وركدتْ عشيّةً فخـرّا
روما التى راع اتّساقُ مُلْكِها | وهتْ يواقيتُ القرى من سلكِها
أمستْ هوتْ عن عرشها المُعظّمِ | وأصبح التـاجُ كأنْ لم يُنظَمِ
لم تتّقِ اللهَ ولا الأياما | فى أممٍ سبّتهمـو أيامَى
بنو الزمانِ ، فوقهم بنوها | تكبّراً وسُنّةً سَنّوهـا
وما لهم من وطنٍ سواها | على تدانى الدار أو نواهـا

---

(1) الوسط .

كثيرُ أوطانٍ بلا التئامِ   وأممٌ شتى بلا وئامِ
وجمرةٌ فى كبدِ المنقادِ   ولاعجٌ من كامن الأحقادِ
وكلُّ فأسٍ وقعتْ فى الدار   تنزل بالاس وبالجدار
فحكَمَ اللهُ على الرومانِ   وأدركتهمْ سُنةُ الزمانِ
لترثَ الأيامَ شبانُ الأممْ   والإرثُ للشباب حقٌّ من أممْ
وأنجزَ اللهُ النبيَّ وعدهْ   وساد قومُه الزمانَ بعدهْ
فورثوا قيصرَ فى المشارقِ   وأخذوا الغرب بسيف طارقِ
وأمَّنوا الأمصار فاتحينا   وعَدلوا فى العالَمينَ حينا
واتخذوا كُل القرى أوطانا   وحاسنوا الأهلينَ والقُطّانا
فحيث حَلَّ العربىُّ حيّا   من الملا قبيلةً وحيّاً
وشاطر الأرضَ على التساوى   محاسنَ الأقوام والمساوى
حتى انقضى سلطانُهم وزالا   وفضلُهم باقٍ ولن يَزالا
تغيّرتْ كدأبِها البلادُ   وانتقل الزِّمامُ والمقادُ
ودينُهم بين الشعوب دينهمْ   يعيِي على الأيام مَن يَدينهمْ
وذلك اللسانُ باقٍ لم يزَلْ   يعضى عليه من جلا ومن نزَلْ
لم يبق منهمو سوى الأصواتِ   وعجبٌ تكلُّمُ الأمواتِ

البيت الحرام

دارٌ عليها مِيسَمٌ[1] من القِدمْ ... حُجّتْ على أول خُفٍّ وقدمْ
مَهدُ الهدى فى الأولين رُكنُها ... وحصنُه فى الآخرين صحنُها
تلك جباهُ الرُسْل فِى ترابها ... وخدُّ إبراهيمَ فى محرابها
غنيةٌ عما كساها أسعدُ[2] ... فى الدهر وهو بالثناء أسعدُ
وكم جلاَها فى اليمانى المُسبَلِ ... من قَبلتْ منه ومن لم تَقبَلِ
لا تلمن وشيها ضريرا ... رُب عَروسٍ تلمنُ الحريرا

* * *

تواضعتْ بين شِعاب الوادى ... لم تتخذْ تبذُّخَ الأطوادِ
لم تُبنَ بالصُفَّاح والصَّوانِ[3] ... ولا علتْ تعالِىَ الإيوانِ
لا يدخوفو[4] أرهقتْ فيها البشرْ ... ولا سليمانُ لها الجنَّ حشرْ
بل صُنعُ شيخٍ مُقبلٍ مُزاولِ ... أعينَ بابنٍ يافعٍ منـاولِ[5]
قد رفعاها حجراً فوق حجرْ ... ووضعا فيها على اليُمنِ الحجرْ[6]
اللهُ يُوحِى والأمينُ يشهدُ ... وتخشعُ الأرضُ ويعلو المهدُ

---

(١) جمال . (٢) من كسا الكعبة الوصائل والملاء وأنه أول من كساها . (٣) الحجارة العظيمة. (٤) فرعون مشهور . (٥) هما ابراهيم واسماعيل عليهما السلام . (٦) الحجر الأسود.

حتى تجلتْ قبةَ الإيمانِ ممدودةَ الظلِّ على الزمانِ

وركنُها كأمسِ في أم القرى(١) تُطوى القبابُ والقصورُ والقرى

دعائمٌ من خشيةٍ وتقوى على تطاولِ الزمانِ تقوى

وما بنى الحــقُّ له الثبوتُ وما بنى الباطلُ عنكبوتُ

تقبّلَ اللهُ من الحوارى(٢) واختصّ بالبيتِ وبالجــوارِ

واختار من عباده قبيــلا للبيت يهدونهمو السبيلا

أولو الإله الكرماء عهــدا النازلو البيتِ العتيقِ مهدا

الراضعو زمزمَ في الهواجرِ وهي تدرُّ من بنانِ هاجرَ(٣)

غرُّهُ آبائهــمُ الذبيحُ(٤) والأمهاتِ جُرهُمُ الصبيحُ(٥)

أبناءُ إسماعيلَ حول بَكّهْ(٦) تضوّعت منهم شِعابُ مكّهْ

ينتهمو عبــوكهُ مفاخرُهْ أولهُ نبوّةٌ وآخــرُهْ

* * *

انتشروا قبائلا على الزمنْ مِلْءَ الحِجازِ والشآمِ واليَمَنْ

بَدْوٌ بكل نَشَزٍ وقاعِ وحَضَرٌ في عامرِ البقــاعِ

تنقلَتْ فيهم دياناتُ الأُوَلْ تنقلَ الأيامِ فيهم والدُّوَلْ

والدِّينُ بين القدماءِ عَدْوَى يقطعُ أجوازَ القِفارِ عَدْوَا

نارُ المَجوسِ وجدتْ مجازا وابنُ سنانٍ(٧) أنقذَ الحِجازا

---

(١) مكة . (٢) ابراهيم عليه السلام . (٣) زوجة ابراهيم عليهما السلام . (٤) اسماعيل .
(٥) جد حي من العرب البائدة . (٦) بطن مكة . (٧) في ابن الأثير أن ناراً ظهرت ببلاد العرب في الجاهلية فكانت فتنة لهم وكادوا يتمجسون فأطفأها خالد بن سنان العبسي .

بقيةٌ تؤمنُ بالجليلِ ... يتّبعون مِلّةَ الخليلِ
وعُصبةٌ على هُدى الأحبارِ ... أهلُ كتابٍ يعبدون البارى
آلُ ابنِ عِمرانَ أو ابنِ مَريَما ... فمن بهاتيك الشِعاب خيّما ؟
وفِرقةٌ دَهريةٌ جُحّادُ ... عن كل دينٍ لهمو إلحادُ
وآخرون افتتنوا بالنارِ ... أو سجدوا للكوكبِ المُنارِ
أو ألّهوا ما نحتوا من الحجرْ ... أو عبدوا ما استنبتوا من الشجرْ
وغيرُهم بالحيوانِ دانا ... وقدّسَ الأرواحَ والأبدانا
كلٌّ من الحيرةِ والضلالهْ ... يعشو[1] الى القوةَ والجلالهْ
قد هجروا الشمسَ الى الاياةِ[2] ... وجاوزوا المُحيي الى الحياة
وبلبلت ألسُنَهم أسماءْ ... فكثُرتْ فى حُبّها الاسماءْ

* * *

مكةُ دارُ المُلكِ والبيتُ الملكْ ... تُمسى الوفود[3] فى سُراها تهتلكْ
واتفقوا فى الحب والتجلّهْ ... على اختلاف مذهبٍ ومِلّهْ
يجمعُهمْ من كل سهلٍ وجبلْ ... ضوابحَ[4] الخيل روازحَ[5] الإبلْ
يَسدِنُ[6] ساداتُهمُ قبابَه ... ويحجُبُ الصِّيدُ السُّراةُ بابَه
وهاشِمُ الشُّمُّ سقاةُ الوفد ... الغامرون غيرهم بالرِّفد[7]
دارٌ لأقوامٍ مُجاورينا ... ومَنسَكٌ[8] طُهرٌ لآخرينا

---

(١) يحبو الى . (٢) الشعاع . (٣) مسيرها بالليل الى البيت . (٤) أى تسمع أنفاسها من شدة العدو. (٥) أى متطرحة ابلهم أعياء. (٦) يخدم. (٧) الرفد العطاء. (٨) متعبد.

وَمَوسِمُ التَّوْمِ[1] والاكتسابِ　　ونَدْوَةُ النــــداء بالأنسابِ
ومِنْبَرٌ حَفّتْ به القبــــائلُ　　إيادُ[2] من أعواده ووائلُ
قِسٌ فى النُّهى قُسًّا[3] الى سُقراطِ　　يَبْزِن القيراطُ بالقـيراطِ
كانَ مَسيحيًا وكان فاضلا　　وكان عن حقيقـةٍ مُناضـلا
مُحمدٌ من ناقلى عِظـــاتِهْ　　والصاحب الصِدّيقُ من رُواتِهْ
وحَرَمُ الآداب والأخـلاقِ .　　وكيف لا وهو حِمَى الخلاّقِ
لا يُنطَقُ الهُجْرُ به والإِفكُ　　ولا يَحِـلُّ للدماء سَـفْكُ
ومَعبَدٌ مُشـــترَكٌ مُشاعُ[4]　　كلُّ العبادات به مَشـــاعُ
أعجبُ منــــه لم يرَ الأنامُ　　يُعبدُ فيــــه اللهُ والأصنامُ
فالبيتُ حالى الجنباتِ عاطِـلُ　　يجاورُ الحـقَّ عليه الباطل
يُحَجُّ للــبرِّ وللخِلالِ　　وتارةً للهِ ذى الجـــلالِ
كلُّ فريقٍ حـول ما أحبَّـا　　وكل قوم يعبدون رَبَّـا
تَسمَّح للعــرب القُروم　　لم يُلفَ فى الفرس ولا فى الروم
سُـقراطُ لو جاورهُمْ مُعـافَى　　لم يَذقِ السجنَ ولا الزُّعافَا

---

(١) المساومة . (٢) اياد ووائل قبيلتان . (٣) عربى خطيب حكيم . (٤) المشاع والمشاع واحد وهو غير المقسوم .

السيرة النبوية الشريفة

مُحمـدٌ سُـــلالةُ النبُوّهْ ابنُ الذبيح[1] الطـاهرُ الأبُوّهْ

العــــربىُ طينةً نبيـــلهْ القُرشىُّ البـاذخُ القبيـــلهْ

أبوه ذو النـورِ الجميـلُ الجَعْدْ ومُرضِعوه الفُصحاءُ سَعدُ[2]

وبيتُه النجمُ الرفيعُ شهرهْ ونبعتـاه هاشمٌ[3] وزُهْـرَهْ

* * *

قــد نزل اليُتمُ به جنينـا لم يتهيّبْ ســـيدَ البنينا

فنهضتْ بأمره العنـــايهْ تُحسِنُ فى نشأتِه البنـــايهْ

لمـا حـــواهُ آلُه يتيما حــوى فريداً سِلكُهم يتيما

من شَيْبةَ[4] المباركِ الأغرّ الى أبى طـــالبِ الأبرّ

ولا حُنوّ كحُنــوّ الجدّ ورُبّ عمٍّ من هِبات الجدّ

فشبّ حُـلواً[5] سَمتُه ودَلُّهُ ليس له من اليتيم ذُلُّهُ

مُرتسِماً فى أدب الاسـلامِ من اجتنـاب الخمر والأزلامِ[6]

مُنحرفاً عن الدُمَى صـــبيا وهكذا من يُجتبَى نبـــيا

---

(١) اسماعيل . (٢) حى من العرب . (٣) هاشم أبو عبد المطلب جد رسول الله لأبيه وزهره أبو عبد مناف جده لامه وكلاهما من سادات العرب . (٤) اسم عبد المطلب جد رسول الله . (٥) السمت حسن الهيئة والدل السكينة والوقار وحسن السلوك . (٦) سهام كانت الجاهلية تستقسم بها .

مُبرّأً من نَزَقٍ وطيشٍ　　وخُيَلاء فى بنى قريشِ
مُلقباً فى البلد الأمينِ　　دون بنى الأعيان بالأمينِ
مُجمّلاً بالصدقِ فى صبائهِ　　والصدقُ كان من حُلى آبائهِ
حتى جرى لغاية الرجالِ　　فلم يزل مُجلِّيَ(١) المجالِ
فات قريشاً بمكارم الخُلُقْ　　مثلُ ابنِ عبد الله للسبقِ خَلِقْ
قد حاز من مواهب السعادهْ　　ما لا يحوزُ بَشرٌ فى العادهْ
أكرمُ من صَوْب الحيا نصابا　　وأجودُ الناس بما أصابا
وقائدُ الخيلِ فتى وكهلاَ　　وكان فى المهد لذاك أهلا
إن حاد فى الكرب الكماةُ لم يَحِدْ　　قد علمتْ ذاك حُنينٌ(٢) وأُحُدْ
وذائدُ الحقوق والمُحامى　　عن جارهِ وواصلُ الأرحامِ
الأصبحُ الأفصحُ فى المجامعِ　　الحُلْوُ فى العيون والمسامعِ
إن الجمالَ حِليةُ الأقمارِ　　ما أضيعَ الحسنَ على الأغمارِ
من جِرْيَةِ الوحى على لسانهْ　　أعيا المجيدين مدى إحسانهْ
حديثُه حلاه إسماعيلُ　　وبلَّهُ بريقهِ جبريلُ
حِلْيةُ مَن صاغ الكلام وعَلِمْ　　وكيف لا وهو جوامع الكَلِمْ

* * *

كان رسولُ اللهِ فى شبابهِ　　لا يَدعُ الرزقَ وطَرْقَ بابهِ
أىُّ رسولٍ أو نبىٍّ قبلَهُ　　لم يطلبِ الرزقَ ويَبْغِ سُبْلَهُ ؟

---

(١) الجواد الأول فى السبق .　(٢) من غزوات رسول الله .

مُوسَى الكليمُ استؤجر استئجارا ... وكان عيسى فى الصِّبا نجّارا
من أحسن الأمثال فيما أحسَبُ ... الخبزُ لا يُعطَى ولكن يُكسَبُ
والرزق لا يُحرَمُه عبدٌ سعى ... مُضيِّقا عليه أو مُوسَّعا
لا تألُ لا سعيا ولا تُكلانا ... لا ينفعُ التوكّلُ الكسلانا
كان قُبيْلَ البعثِ رَبَّ مالِ ... وتاجرا مُيسّرَ الأعمالِ
يَضربُ فى حَزْنِ الفلا وسهلِهِ ... بمال عمّه ومال أهلِهِ
مُبارَكَ الرِّحلةِ والإقامهْ ... مستصحِبَ الجدِّ والاستقامهْ
وليس للتاجر من ضمانَهْ ... أبقَى ولا أوْفَى من الأمانهْ
والرزقُ بين الناس بحرٌ جارِ ... شِراعُهُ يُرفَعُ للتجّارِ
وما تلقّى الرزقَ باليمينِ ... فى الناس مثلُ التاجرِ الأمينِ
فاسترزقِ اللهَ وقِفْ ببابِهِ ... واكسِبْ فأهلُ الكسب من أحبابه
لا بدّ فى هذى الحياة من أدبْ ... لمن تصدّى للأمور وانتدبْ
فأدبُ الصانع إتقانُ العملْ ... وأدبُ التاجر بالصدق كَمَلْ

* * *

لما أخالَ[1] الرشد والهدايهْ ... وانقشعَ الضلالُ والغوايهْ
دعاه داعٍ لم يكنْ بالبالِ ... إلى انتياب أرْؤُسِ الجبالِ
يصعَدُ مثل (النجم) فيها مُوفيا[2] ... وينزلُ (الكهفَ) بها مُستخفيا[3]
وكم أواها خاليا بنفسهِ ... وفاز من وَحدته بأُنسهِ

(١) بشر بالخير. (٢) أى مشرفا. (٣) كضوء النجم فى الكهف لا يراه من فى الخارج.

عالجَ فى (المعارج) (الإسراء) ‏ ‏ ‏ ‏ وبَدَلَ (الطُّور) ارتقى (حِراء)

بات على (الإخلاص) (والإيمان) ‏ ‏ ‏ ‏ وطالت (السجدة) (للرحمن)

(والكافرون) فى (قريشٍ) (والبلدْ) ‏ ‏ ‏ ‏ (لم يكنِ) الأمرُ لهم على خَلَدْ

حتى أتى (الفتحُ) وجاء (النصر) ‏ ‏ ‏ ‏ واستقبل (النبأ) العظيمَ (العصرُ)

وهبط (النورُ) عليه وَحْياً ‏ ‏ ‏ ‏ ونزل (الفرقان) فيه تَحيا

مُنزّلاً بحسَب الزمانِ ‏ ‏ ‏ ‏ مُفصّلَ اللؤلؤ والجُمانِ

فى كل ليلٍ أو نهارٍ آيهْ ‏ ‏ ‏ ‏ كالشمس أو كالبدر بُعدَ غايهْ

جامعةٌ بين البيان الرائعِ ‏ ‏ ‏ ‏ وبين عُليا حِكَمِ الشرائعِ

ولم يزلْ نزولُه مُفرّقا ‏ ‏ ‏ ‏ مُشرّفاً به الحِجازُ مُشرقا

مُسايرَ النبيِّ طولَ عُمْرِهِ ‏ ‏ ‏ ‏ ونورَه فيما دجى من أمرِهِ

حتى إذا أمسى القضاء مُحتّما ‏ ‏ ‏ ‏ تمتْ حياةُ المصطفى وتمّا

***

كان ابتداءُ الوحيِ فى حِراء ‏ ‏ ‏ ‏ فاتحةَ الرسالة الغرّاء

اللهُ خيرَ خَلْقه أعطاها ‏ ‏ ‏ ‏ وحمّلَ الأمرَ العظيمَ طه

أرسله قلادةَ النظامِ ‏ ‏ ‏ ‏ عصماءَ عِقدِ الرُّسُلِ العِظامِ

فجاء بالخير ذوى قُرْباه ‏ ‏ ‏ ‏ مَن قَبِلَ الرُّشْدَ ومَن أباه

ناجاهمو ببينـاتِ ربّهِ ‏ ‏ ‏ ‏ فآمنتْ (بنتُ خُوَيْلدٍ[1]) بهِ

فقيل فيها أسبقُ الإناثِ ‏ ‏ ‏ ‏ وفى عليٍّ أسبقُ الأحداثِ

---

(١) السيدة خديجة زوجة رسول الله .

وفي الرجال لأبي بكرٍ يدُ　　بالسبق لم يبلغْ مداها سيّدُ

وكانت الدعوةُ بالكتابِ　　وحجةِ اللهِ على المرتابِ

فلم تزلْ حتى انثنتْ بحمزةِ　　وانقلبتْ بعُمرٍ فعزّتِ (١)

ودخل المستضعفون (٢) فيها　　كلهمو خوف الأذى يخفيها

عذّبَ بعضهم ربيطَ الجاشِ　　وبعضُهم التجا الى النجاشي (٣)

وصبرَ الداعي على البذاءِ　　وما يلاقيه من الإيذاء

فما مقالُ الجاهل المفنّدِ　　تأسّس الإسلامُ بالمهنّدِ ؟

أمَن يسلُّ سيفَه يستخفي　　ويحملُ الخسفَ لأهل السخفِ !

من استطاع أخذ شيءٍ عنوهْ　　كان له عن العلاج غنوهْ (٤)

* * *

نال الرسولَ الضرُّ من عداهُ　　وبلغ الأذى به مداهُ

ومات من آوى وربّى واصطنعْ　　وذاد عن خير البنينَ ومنعْ (٥)

وحائطُ الدعوةِ في أساسِها　　وركنُها قبل اشتداد بأسِها

وارتْ أبا طالبِ الأحجارُ　　فأعوزَ الحامي وعزّ الجارُ

وركبتْ متنَ هواها هاشمُ　　وجال غاويها وصال الغاشمُ

وكان من أخشنِها أبو لهبْ (٦)　　عمٌّ، ولكنْ مذهبَ السوء ذهبْ

فحقّتْ الهجرةُ وهي مُرّهْ　　ما وُصفتْ إلا لنفسٍ حُرّهْ

سبيلُ موسى في الزمان الأوّلِ　　ومذهبُ الروح ولمّا يُحوِلِ (٧)

---

(١) نصرت وتأيدت . (٢) الذين يرى عليهم الضعف . (٣) ملك الحبشة . (٤) أي غنى . (٥) هو عمه أبو طالب . (٦) عمه المذكور في القرآن . (٧) عيسى عليه السلام ولم يكن اكتمل حولا .

ومركّبُ الأفراد والأعلامِ وخصماه الظلم والظلامِ
ما أجملَ الهجرةَ بالأحرارِ إن ضنّتِ الأوطانُ بالقرارِ

***

تأمّلِ الرسلَ الكرامَ واعتبرْ إن العظيم للعظيم يصطبرْ[1]
ما أصعبَ الدعوة في البدايهْ حتى على الرُّسْلِ أولي الهدايهْ !
وأثقلَ الحقّ على الجماعهْ إن وُجدتْ أُذنٌ له سمّاعهْ
والناسُ في عداوة الجديدِ وقبضةُ الأوهام من حديدِ
هاجر من أمّ القرى مأذونا وما درى أو سمعَ المؤذونا
في ليلةٍ للختْل كانت مَوْعِدا قد نصبتْها شَرَكاً أيدي العِدا
ائتمرتْ في النّدوةِ[2] الأعيانُ وانتدبتْ للفتكةِ الفتيانُ
وقعدوا ناحيةً كمينا ليغدروا في داره الأمينا
فخرج اللهُ من البيت بهِ لم يرَهُ الجمع ولم ينتبهِ
وسار في ركابه الصدّيقُ وفي البلاء يُعرفُ الصّديق
فانتشرتْ خيلُ قريشٍ تطلبُهْ من ينصرِ الرحمنُ من ذا يَغلِبُهْ ؟
مرّوا على الغار مُضلَّلينا وأخذوا السُّبْلَ مُسائلينا
حتى بدتْ سيدةُ الأمصارِ وبَلدةُ الأعيان والأمصار
وكان فيها للرسول شِيعهْ وعُصبةٌ سامعةٌ مُطيعهْ
قد عرضوا بمكّةَ المبايعهْ وبذلوا في المَوْسِمِ المتابعهْ[3]

---

(١) اشارة الى هجرة أكثرهم وتجرعهم غصة الخروج من الديار . (٢) دار الشورى .
(٣) متابعته على دينه الحق .

وكان إيمانهم في السرّ — خوفَ قُريشٍ واتقاءَ الشرّ
فكان للقادمِ منهم أهلُ — ومنزلٌ رحبُ الفِناءِ سَهلُ
باليُمْنِ ألقى رحلَه في الخزْرجِ — كأنّه من أرضِه لم يَخرجِ
وامتنعتْ يثربُ[1] في النبُوّهْ — وامتلأتْ من مَظهرٍ وقوهْ
واجتمعتْ حول الهدى لواءْ — يُحاربُ الضلالَ والأهواءْ
كلّ غَزاةٍ للنبيّ حقّه — لم يَعْدُ في حربِ قريشٍ حَقّهْ
ليس سواءً كلّها العَوانُ[2] — لا يستوى الدفاعُ والعُدوانُ
وربّ صالٍ نارَها لم يَجنِها — وإن يكنْ من شُهْبِها وجِنِّها
هم بلغوا نهايةَ التمرّدِ — وطرّدوا الإسلامَ كلَّ مَطرَدِ
وصادروا الأموالَ معتدينا — وناصبوا محمّدا والدينا
وهادنوا ثم بغوْا فناهدوا — ونقضوا ما أَبْرمَ التعاهد
فكانت الحربُ لدفعِ الحَيْفِ — قد تُؤخَذُ السِّلْمُ بحدّ السيف
وكان (بدرٌ) مطلعَ الأيامِ — ورفعةَ الصلاةِ والصيام
وأوّلَ العهدِ بعزّ المِلّهْ — وبارتداءِ المشركين الذِّلّهْ
و(أُحُدٌ) جالوا بها وجالا — وانكشفتْ بينهما سِجالا
خيرُ الأُساةِ كان من جَرحاها — دارتْ على ثباته رحاها
خالف فيها المسلمون رأيَهْ — والحربُ للقائد ذى الدّرايهْ
و(خَيْبرٌ) كانت مع اليهودِ — لنقضِهم مُؤكّدَ العهودِ

---

(١) المدينة. (٢) الحرب العظيمة.

ودمّهم عليه فى قريشِ   وعونهم عليه كلّ جيش

كيلوا بسيف الحقِّ كيلَ السندره   ولم يقف مرحبُهم لحيدره (١)

فلم يدعْ حصناً عليها قائما   ولم يعدّ الفاتحُ الغنائما

وما يهودُ بالسخافِ الأغبيا   إذ ظاهروا الشركَ عدوَّ الأنبيا

إنى أظنُّ الحرصَ منّى القوما   أنْ سيسودوا بالحجاز يوما

وأنّ دِينَهم بذاك أجدرُ   وأنهم على قريشٍ أقدرُ

وفى حُنينٍ عظُمَ البلاء   وحلّتِ الألطافُ والآلاء

اغترّ فيها المسلمون كثره   وللمغرور بالرجال عثره

أنسامُ الحطامُ ذِكرَ الساعه   فنال نصرُ الله عنهم ساعه

لولا رسولُ الله فيهم بادوا   وأصبحوا يرويهمُ العبادُ

أيّدَ بالصبر وبالثباتِ   والرابطينَ البُهمِ الاباةِ

ونزل النصرُ من السماء   مؤزّراً تُجلّىَ الغمّاء (٢)

فكان للهادى عُلوّ شانِ   وغيظَ كلّ حاسدٍ وشانِ

***

قفْ بقريشٍ بعد بدرٍ وسَلِ   ما غرّها بابن أبيها المرسَلِ ؟

أم حسداً، والأهلُ أهلٌ للحسدْ   لو استطاع أنكر الرأسَ الجسدْ

أولُ محسودٍ هو القريبْ   والفضلُ فى دياره غريبُ

تريدُ حربا ويريدُ سلماً   تزيدُ جهلا فيزيدُ حلما

---

(١) هو على عليه السلام ومرحب بطل اليهود . (٢) أى كاشف الغمة .

هم مَنعوه الرُّكنَ والمقاما ... وسِيمَ بالمدينـــة المُقاما
أرادَ حربَهم فسِيل صفحا ... وهمّ بالفتح فقيـــل صُلحا
عاهـــدهم فأخلفوه الموثِقا ... وركبوا الغدرَ الوبيلَ المُوبِقا
بَغوا على أحلافِهِ الكِرامِ ... جـــيرتِهِ بالبلد الحـــرامِ
فاستصرخوه فأتى من طيْبهْ (١) ... كالسيل يُزجي رعدَه وسَيْبَهْ
وفُتِحتْ مكّةُ للإســـلامِ ... وحلّ فيها ظافرَ الأعـــلامِ
ونُزِّهَ البيتُ عن الأوثانِ ... واللهُ عن ندٍّ له أو ثانِ
ورَفِقَ الغالبُ بالمغـــلوبِ ... فكان أيضا فاتحَ القـــلوبِ
أطلقهـــــم ومَنّ بالأمانِ ... فالطُّلقاءُ هُمْ عـــلى الزمانِ (٢)
وكان من تسويةِ الاسلامِ ... وجمالِهِ الفتـــاةَ كالغـــلامِ
بَذْلُ النساءِ كالرجال البيْعهْ ... لا يُشتـــكى لحقِّهنّ ضَيْعهْ
مستقبلاتِ المصطفى خلفَ الخُمُرْ ... يأخـــذُها له عليهنّ عُمَرْ (٣)
بايمن حتى هنـــدٌ (٤) المناضلهْ ... على الوَلاءِ والخِـــلالِ الفاضلهْ
وظلتِ الدعـــوةُ فى يسارِ ... السيفُ يحمى والكتابُ سارِ
وبُعثَ الرُّسْلُ الى الأحياءِ ... يُحيُون فيها ميِّتَ الأحيـــاءِ
يمضون للهِ وللرســـولِ ... وينثنون ببـــلوغ السُّولِ
وكم أتتْ من دونها آجالُ ... ومات دون الواجبِ الرجالُ

---

(١) المدينة المنورة . (٢) هذا لقب أهل مكة بعد أن أطلقهم رسول الله وأمنهم . (٣) كل هذا اشارة الى مبايعة عقائل قريش اياه عليه السلام . (٤) هند بنت عتبة أسلمت وبايعت وكانت تؤذى رسول الله قبل الفتح .

حتى أظلَّ العربَ الإسلامُ ... وشملَ الجـــزيرةَ السلامُ

وبلغ الشُّمَّ بلاغُ الداعى ... وأسمعتْهمْ حَجةُ الوَداعِ (1)

هناكَ حان أجـــلُ الطبيبِ ... وحَكمَ الصبُّ فى الحبيبِ

سبحانَ من له البقاءُ دون حدْ ... وليس فوق الموت غيرَه أحدْ

---

(1) آخر حجة لرسول الله خطب فيها وبلغ وأرى الناس مناسكهم وعلمهم حجهم.

الخلفاء الراشدون

الخلفاء الراشـــدون أربعهْ   مَرضيّة سُنّتهم مُتّبعــهْ

فى الذِّكْرِ لم يُغْفَلْ لهم حديثُ   وذِكْرُهمْ سَــيْرَهُ الحـــديثُ

العُمَران [1] وابنُ [2] أرْوى وعلِي   فى الذِّروةِ الشمّاء والأَوْجِ العلِي

خلائفُ اللهِ أئمةُ الهُـــدَى   وَطّأ للحقّ بهمْ ومَهّدَا

كلّهمو ابنُ أمسِهِ ويَوْمِهِ   عِمادُ دارِهِ عَميـــدُ قومِهِ

هُمُ النجـــومُ فى سمـــاء غالبِ   ومطلع الهادى المنيـــرِ الغالبِ

نماهمـــو كما نماهُ فِهرُ [3]   فبينهم واشـــجةٌ وصِهرُ

معـــادنُ الوفاء والاخاء   صَحابةُ الشّـــدّةِ والرّخاء

ما مَنَحـــوا اللهَ ولا نبيّهْ   قيـــادَ نفسٍ سَمْحةٍ أبيّهْ

وما الحَواريّونَ خَلْفَ عيسى   أحثّ منهم للنجاةِ عِيسَـــا [4]

* * *

رُعاةُ شـــاءٍ وتجـــارُ مال   كالرُّسْلِ فى هـــذا وفى الكمال

قد كفلوا الاســـلامَ فى صباهُ   فأيّهم نادَى دَعى أباهُ

بالنفسِ والنفيس أيّدوه   وبالقنـــا والرأى شـــيّدوهُ

---

(١) أبو بكر وعمر .   (٢) عثمان .   (٣) هو أبو غالب سيد قريش ومن أجداد الرسول .

(٤) العيس الابل ، أى هرباً من الدنيا وطلباً للآخرة .

وأتمّوا ديكَ الهــــدى فصاحَا وآمنـــوا بفجره مُنصـــلِحَا
كلهمُو فيـــه الحبيبُ الأو عطوْه غايات الرضى وتولّوا
فاسبقْ إذا الحقّ دعا مستنصِرَا وكنْ إذا عُدّ الحماةُ الخِنْصَرَا
ما حَمّـــل النفسَ على الأشقّ كقائل الصـــدقِ وحامى الحقّ
حتى جبا الأرضَ اليهم مَنْ جبَا وملـكوا الدنيـــا فكانوا أعجبَا
حدّثْ عن الخليفة الخميص[1] والمَلِكِ المخرّقِ القميص
مثـــل الجوادِ زانه الإضمارُ والشمسِ زادت حسنَها الأطمارُ
لا يعقـدون فى الجباهِ المسجدَا بل التـــرابَ للمليك سُجّدَا
وتحتَ أقدامهم التيجـــانُ ينديها اللؤلؤ والمَرجانُ
كسرى يبطنِ الأرض عطلُ المفرقِ وقيصرٌ ينْدُبُ تاجَ المشرق !

---

(١) الجائع .

خلافة أبي بكر الصديق

سبحان من يُنيمُ كيف شاء ساس الورى من كان يَرعى الشاء

يقود بعد إبلِ ابن عامرِ [١] ماذبَّ في غامِرها [٢] والعامرِ

سما سموَّ الثاقب السيّارِ والخيرُ عُقبى صُحبةِ الأخيارِ

من أيّد الحقُّ به تأيّدا وعاش أو مات كريماً سيّداً

وكلُّ عزٍّ في ظِلال الباطِلِ نسجُ عناكِبٍ وخَيطُ باطلِ

كم شوّه الباطلُ حين سوّدا كالنار تعلو بالدُّخان أسودا

لما أهاب بالرسول الداعي وآذن الجُثمانُ بالتداعي

ولّى أبا بكرٍ على الصلاةِ وتلك عليا رُتَبَ الولاةِ

فبايع الطائعُ والأبيُّ طوبى لمن بايعه النبيُّ

وكان ما لم يكُ منه بُدُّ أقضية الرحمن لا تُردُّ

أصابت الفتنةُ والحبائلُ ونكَست بعد الهدى القبائلُ

وثاب أقوامٌ الى الأوثانِ وقام غاوٍ وتلاه ثانِ

تنبأ فلقيا نجاحا واتّبعت طائفةٌ سَجاحا [٣]

واضطرب الحبل وماجت الزُّمَرْ واقتحمَ الفتنةَ فابتلّ عمرْ [٤]

---

(١) هو عثمان بن عامر ابوه رضي الله عنه . (٢) الغامر من الأرض هو ما ليس بالصالح .

(٣) امرأة من العرب ادعت النبوة . (٤) هو عمر بن الخطاب قد كاد يفتتن من شدة جزعه على رسول الله .

يومٌ كيوم السامرىّ (١) لولا ... دَفْعُ أبى بكرٍ وعونُ المَوْلَى

غُمَّ على الحِجاز ، فاستَرابا ... نزولُ ذاك القمرِ التّرابا (٢)

جلّى الامامُ يوم ذاك الغُمَمْ ... إنّ المهاتِ ميادِينُ الهِمَمْ

أُعِين بالتأييد والتسديد ... وفتيةٍ بُنوا من الحديد

من كل سيفٍ سلّه المختارُ ... ماضٍ فِرِنْدُه الصِّبا بتّارُ

أُسامةُ (٣) الأسماء والأفعالِ ... أجرى من الهلال للمعالى

قد نصروا اللهَ وبرّوا الهادى ... ووصلوا الجهادَ بالجهادِ

وأصلوا الشرك الحروبَ الغابِرهْ ... واستأصلوا شأفتَه ودابِرَهْ

ورفّت السِّلْمُ على الجزيرهْ ... صافيةً حياضها غزيرهْ

وحُبِّبَ الفتحُ الى الامامِ ... لا بدّ للبُنيانِ من تَمامِ

فانساحت الكتائبُ انسياحا (٤) ... أرسلها من يُرسلُ الرياحَا

خيلٌ لَمَسْنَ أثرَ البُراقِ ... بُورِكَ للشامِ والعراقِ

اليُمْنُ من غُرّتِها للحافرِ ... ومَتْنُها من ظافرٍ لظافرِ

يقودُها ألوِيَةُ الجهادْ ... أشهادُ بدرٍ أو بنو الأشهاد

فكانت البصرة أولَ الثمرْ ... ثم ترقّ فى المنازل القمرْ

وفتَحَ الله على القوّاد ... مفاتحَ النهرين والسواد (٥)

واقتحموا الشامَ فزال شُومُها ... وضاق ذرعا بهمُ غَشُومُها

---

(١) اشارة الى فتنة بنى اسرائيل بالسامرى . (٢) أى موت الرسول عليه السلام . (٣) علم جنس على الأسد . (٤) اندفعت . (٥) هو سواد العراق اى ريفه .

وسلكوا الجبالَ والفُروجا[١] وملكوا كالشهُبِ البروجا
ونازلوا الرومَ بأجنادينا فكان دنيا لهمو ودينا
يومٌ، على ما شابه، سعيدُ قد تكدُرُ الأيام وهى عيدُ
فما ثنى القومَ عن القتال نبيٌّ والٍ أو بشيرٌ تالِ
فتحُ الفتوحِ كان حِصتَيْنِ تناصفا بين الخليفتينِ
حوى العتيق[٢] مُبتدا مفاخِرهْ وأحرز الفاروق[٣] عِزَّ آخِرهْ

***

فيا أخا الضرّاء والشدائدِ والناسُ إخوانٌ لدى الفوائدِ
وسابقَ الآل الى التصديقِ وآوىَ الغار مع الصِّديقِ
وباسطَ اليمين والشمالِ وتُعرَف الرجالُ عند المالِ
وقدوةَ الزُّهّادِ بعد الهادى وصاحبَ الهجرةِ والجهادِ
وكاسى الأراملِ الحُرّات وحالبَ الأغنام للجارات[٤]
ويا رحيما قلبُه رقيقا بماله كم حَرَّرَ الرقيقا
ومن قضى بعد غنًى فقيرا لم يجدوا فى بيته نقيرا
ذهبتَ بالخير واتبعتَ عُمَرْ يا ويحَ مَن بعدَ أبى بكرٍ أمرْ
رأيتَ فيه ما رأى اللهُ لكا فكان فضلَ اللهِ ثم فضلكا
عهدا كما تُكجمعةٍ فى عيدِ فى ظلّ يومٍ بَهِجٍ سعيدِ
اللهُ زفَّ الفتحَ فيه وهَدَى الى قَنا الحقّ وراياتِ الهدى

---

(١) الفروج متون الأودية أو متون الطرق . (٢) أبو بكر الصديق . (٣) عمر .
(٤) كان رضى الله عنه يحلب الغنم لجاراته .

الشمس لو كانت تُخَطُّ مَضجَمَا   والبـــدر لو كان يقِلُّ الهُجَّمَا

والصَّـدَفُ التامَ على اليتائمِ   من فَردِ اللؤلؤِ والتوائم[1]

والغمدُ لو يَسكنه ســـيفانِ   والجفنُ لو ينزلهُ طيفانِ

واللفظُ راق واحداً وَرَاعَا   حولَ معانٍ دقّت اختراعا

كروضةٍ وارتُكُما بالقـــاعِ   من طينةِ الجنةِ لا البِقاعِ

خيرُ الأَنامِ وَردُها المصونُ   وأنتما الأوراقُ والغصون

صحابةُ الدنيـــا رفاقُ البرزخِ   واصبحُ تحتَ الثرى كفرسخِ

الا مقاماً قبتُما لن يَقبلاَ   تصرّفَ الدهرِ ولا حُكمَ البلى

---

(١) توائم النجوم او اللؤلؤ ما تشابك منها .

خلافة عمر بن الخطاب

مضى أبو بكرٍ ، وولاّها عمرْ   الشمسُ لا تُخلَفُ إلا بالقمرْ
ما مال حائطُ الهدى حتى اعتدلْ   والركنُ إن سَدّ من الركن بدلْ
بزاهدٍ قام مكانَ الزاهـــــدِ   مُجاهدٍ نابَ عن المجاهـــــدِ
قلّده فى نزعهِ الصــــــلاةَ   إنّ الوُلاةَ تَرِثُ الولاةَ
بالمؤمنين نهض الأمـــــيرُ   مضطلعٌ بأمـــــرهم شِمّيرُ[1]
يوماه فى الصُّحبةِ والإمامهْ   كلاهما السَّرْحة[2] والغمامـــــه

* * *

إسلامُه للدين كانَ عِزّا[3]   رنّح عِطْفَ المصطفى وهـــــزّا
صُلّيَ فى الكعبة لمّا آمنا   وطاف بالبيت الطريدُ آمنا[4]
وكان فى دين الجــــدود صُلباً   لا يأتلي الدين الجـــــديد ثَلْباً

* * *

ثار الى حيث النبيُّ مُوعِــــدا   ومبرقاً بسيفه ومُرعـــــدا
فجاءه مُوحّـــــدٌ من الزمَـرْ   وقال جيء أهلك فانظر يا عمر[5]

---

(١) المجرب الماضى فى الأمور . (٢) الشجرة العظيمة . (٣) اشارة الى قول الرسول اللهم أيد الاسلام بعمر بن الخطاب . (٤) أى صار المسلمون يطوفون بالبيت جاهرين آمنين وكانوا لا يستطيعون ذلك . (٥) هو نعيم بن عبد الله .

وحــــدّثتِ اللهَ ابنةُ الخطابِ … وآمن السعيدُ فى الأخطـاب[1]
لجاءهـــا معتزمَ الشّراس … وكان صلباً خشنَ المِراس[2]
فراعه من الخبـــاء هينمه[3] … وصوتُ مستخفيةٍ مُرنمـــه
فقـــال ما أسمع ؟ قالت : طَه … فلم يصوِّبها ولا خطأهـا
قال ، وعِرفانُ الصوابِ مَكرُمهَ ، … فاطمُ هـذا منطقٌ ما أكرمَهْ !
وآنستْ سكينةَ الحـــوارى … من رجـل فى صحوه سوّار[4]
كَحَمَلٍ مُدلَّلٍ صار الأســـدْ … والصارمُ المسلولُ عاد كالمَسَدْ[5]
كأنمـا ســـقته أمّ ليلى[6] … أو أسمعتْ قيساً[7] حديثَ ليلى
فجـاء نادىَ النبي فاهتـــدى … وكبّر الهـادى وهـلّ المنتدَى
أنظرْ إلى الحكمةِ كيف تُنشَدُ … والنفسِ بعد الغىّ كيف تَرشُد
لا تقضِ بالعُبوسِ والطلاقهْ … منَ امرىءٍ حتى ترى أخلاقهْ
كم ليّنٍ كالصِّلّ[8] يُخفى مَصرَعا … وأخشنٍ كالصخرِ يُؤوى مَشرَعا
ما اتّبع الحـــقَّ إذا تغلبا … كرجل فى باطـلٍ تصلّبا
والرأىُ مثلُ العهد فى الجلائلِ … يرعاهَ مَن يرعاه فى القليـــلِ

* * *

إن الذى رشّـــح للمُلْكِ عُمرْ … أيّده بالمســلم فى خيرِ العُمُر
كفى بصحبة النـــبي مَعْلَما … وبالنبي مرشــــدا معلّما

---

(١) ابن عم عمر وختنه والأخطاب جمع خطب وهو الذى يخطب المرأة والمراد السعيد بكونه خطب فاطمة أخت عمر . (٢) المراس الأخـــذ والمعالجة . (٣) الصوت الخفى . (٤) ذو الحدة والشدة . (٥) حبل من ليف . (٦) كنية الخمر . (٧) مجنون بنى عامر . (٨) الثعبان الخبيث .

من صَحِبَ النَّجمَ تعالى وانفردْ ومن دنا من ساحة البحر وردْ
علمٌ عليه من بيانٍ وخُلُقْ ثلاثةٌ مَنْ زِنَّ للمُلكِ خلقْ
عابوه بالشـدة وهي حُسْنُ في رجلٍ للحقِّ منه حصنُ
ميسَّر في صُلبِ والديهِ لتفتحَ الدنيا على يديهِ
بالعدلِ والدِّرةِ طار بالعرب وسار في الجوِّ بهم وفي السَّرَب[1]

* * *

فلم يزل دِعامةَ الإسلامِ وهامةَ الصحابة الأعلامِ
ممتحنًا جوادًا في سبيل اللهِ نَدْبًا[2] عن الحقوق غير لاهِ
مجاهدًا ببيضهِ وسُمرهِ وشهبهِ ودُهمهِ وحُمرهِ[3]
وعنبرَ العُبَّادِ في الجوامعِ وسمَرَ الزهَّادِ في الصوامعِ
وقاضيًا كالذكَرِ اليماني لم يأته في سنةٍ خصمانِ
حتى تاق الحظُّ أسنى أكبرا أمَّ الصفوفَ وترقى المنبرا
حِباءُ[4] من قاس الصنيع وَقدرْ إن الجزاء بأوانٍ وقدرْ
فليس يدرى المسلمون سيِّدا أبركَ وجهًا منه أو أندى يدا
من يلقَه في طِمرِه[5] يلاقِ ركنَ الحقوق حائطَ الأخلاقِ
وُلاتُه في ملكهم رُهبانُ والفُلْكُ حيث ساقها الربَّانُ
خليفةٌ يَعُسُّ في الإعتام[6] ويطبخُ الطعامَ للأيتامِ
طريقُه في العدلِ قطُّ ما سُلِكْ من ذا قضى لسُوقةٍ على ملك[7]

---

(١) الطريق في الأرض . (٢) الشهم المنتدب لعظائم الأمور . (٣) أي بجميع خيله ودوابه . (٤) العطاء . (٥) الثوب البالي . (٦) الظلام . (٧) اشارة الى حديث جبلة ابن الأيهم الذي لطم سوقة فاقتص له عمر منه .

فتوحُهُ لِلحق فضلُ البارى — والجزْلُ من هِباته الكبارِ

اسْكَنْدَرُ الخيلِ وَإنْ لم يرْكبِ — الأرْضُ مِنْ أيّامِهِ فى موْكِب

أقامَ فى مَرْكَزِه بيثرِبا — وَشرّق القنــا به وغرّبا

ثَوَى وساق نُجُبَ الصحابِ — بُورِكَ فى البحرِ وفى السّحابِ

بَقِيّةٌ مِنْ أُحُــدٍ وَبَدْرِ — مِنْ كل غابٍ طَلَعت وخِدر

محا مرُورُ الدّهرِ مسودّ اللّمم — وهم كأمس خُمُسٌ(١) مُرْدُ الهِمَمْ

(بالقُدْسِ) جيشٌ دونهُ رُهْبانُهُ — تحرّمت بِعَدْلهم صُلْبــانه

وَجحفــلٌ تحتهمُ الإيوانُ — كلهمُو كِسْرَى أنُو شرْوَانُ

وَفيلَقٌ على جَوَانبِ الهَـرَمْ — تقلدُوا الحقّ ومُرْبلُوا الكَرَمْ

لَوْ هَبّ فرعونُ لخالَ مُوسى — بجانبَيْهِ يَعرِضُ النّامُوسَا

تَعَهّدُوا الفتحَ بالاختِطاطِ — وَوَصَلوا الكُوفَةَ بالفُسطاط

وَراءهم مُسَهّدُ الفُؤادِ — موكّلُ العيُونِ بالقُوّادِ

يَبْعثُ بالزّادِ وَيُرْسِلُ المدَدْ — وَينفِذُ الكتبَ ويأخذ العُدَدْ

مُبــارَكٌ على المدَى مَجْدُودُ — وللجــدود كُلّها حُــدودُ

اذا دَعَا بوَجْهِهِ مُشــيرا — نَحْوَ السّماء استَقْبَلَ البَشيرا

حتّى جَلَا كِسْرَى عن المدَائِنِ — وآبَ بالايوَانِ والخــزائنِ

وشاطرَتْهُ مُلْكَها القَيـاصِره — والقُدْسُ فيما بذلتْ وناصِرَه

فتحٌ يُرِى الحوادثَ الإباء — إذا الفُتُوحُ أصبحتْ هَبَاء

---

(١) شبان اشداء لم تشب لهم همة .

أهدى على الدهرِ الى الاسلام ما بين أعلى النيل والسلام
أرضٌ أصابَتْ من نَدَى السَّماء خيرَ النباتِ وعيُونَ الماء
وعالمٌ باقٍ على عهْد العرَبْ وإنْ مَضى الدهرُ عَلَيْهمْ وضربْ
ما ضيّع الدّين ولا اللسانَا ولا يَدَ الفارُوقِ والاحْسانَا

عمر وخالد بن الوليد

والله ما أدري ولا تدري الزُّمَرْ ... ما كان بين ابنِ الوليدِ وعُمر (١)

سيفُ الإلٰه سَلَّهُ النبيُّ ... وَهَزَّهُ وَليُّهُ الحيُّ

(١) ابن الوليد — هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أسلم سنة سبع للهجرة . وهو أحد الذين انتهى اليهم الشرف فى الجاهلية من قريش . كانت اليه القبة والأعنة . فأما القبة فانهم كانوا يضربونها ثم يجمعون اليها ما يجهزون به الجيش . وأما الأعنة فانه كانوا على خيل قريش فى الحرب . كان أحد الأبطال الذين حاربوا أهل الردة . اشترك فى فتح العراق وفي فتوح الشام . كان قائداً عاما للجيوش الاسلامية فى الشام — فى أواخر خلافة أبى بكر الصديق — فبينا كان المسلمون في ذلك اليوم المشهود — يوم اليرموك — فى أشد حالات الحرب . واشتداد الطعن والضرب جاء البريد من المدينة ينعى أبا بكر ويخبر باستخلاف عمر بن الخطاب ومعه أمر بعزل خالد بن الوليد وتعيين أبى عبيدة بن الجراح أميراً عاما للجيش مكانه . وفي رواية أخرى أن البريد جاءهم وهم على حصار دمشق . وروى الطبرى أن أبا عبيدة كتم عن خالد خبر عزله ريثما فتح دمشق وكتب لأهلها عهداً فأمضاه له . وحضر خالد بن الوليد بعد أمارته هذه معظم فتوح الشام متطوعا . وكان المسلمون يستمدون رأيه فى الحروب ويقدمونه على أمرائهم ساعة الحاجة . وكان أبو عبيدة يوليه الجيوش للفتح . فلما فتح في امارة أبى عبيدة قنسرين التابعة لولاية حلب وانتهى الخبر بذلك الى عمر قال . أمر خالد نفسه . يرحم الله أبا بكر هو كان أعلم بالرجال منى .

أما سبب عزله فأمران : الأمر الأول ما كان فى نفس عمر بن الخطاب عليه منذ قتل مالك بن نويرة فى حرب الردة . كان مالك بن نويرة رجلا متحيراً يقدم الردة قدما ويؤخر أخرى . قدم بالصدقات على أبى بكر رؤساء تميم كلهم كالزبرقان وصفوان بن صفوان ، ووكيع بن مالك وغيرهم الا مالك بن نويرة بقى متردداً فقصد خالد بن الوليد البطاح وبث السرايا وأمرهم بداعية الاسلام . وأن يأتوه بكل من لم يجب . وكان قد أوصاهم أبو بكر (أن يؤذنوا اذا نزلوا منزلا فان أذن القوم فكفوا عنهم . وان لم يؤذنوا فاقتلوا وانهبوا . وان أجابوكم الى داعية الاسلام فسائلوهم عن الزكاة . فان أقروا فاقبلوا منهم وان أبوا فقاتلوهم) فكان من الذين جاءت بهم الخيل مالك بن نويرة في نفر من ثعلبة بن يربوع ، فأمر بهم خالد فحبسوا فى ليلة باردة . ثم أمر منادياً فنادى دافئوا أسراكم . وهي فى لغة كنانة القتل . فظن القوم أنه أراد القتل ولم يرد الا الدفء فقتلوهم . وقتل معهم مالك بن نويرة . قتله ضرار بن الازور . وتزوج خالد أم تميم امرأة مالك . فلما انتهى الأمر الى أبى بكر وعمر رغب عمر الى أبي بكر ثم ألح أن يستدعى خالداً ويقتص منه . فقال أبو بكر : ياعمر تأول خالد فأخطأ ، فارفع لسانك عن خالد فانى

أُغمِد لا كلاًّ (1) ولا مُقصِّرا ... فى حَرْب كِسْرى وقِتالِ قَيْصَرا
تَوَجَّعَتْ لِعَزْلِه العُقَـاب (2) ... وحَـلّ بالمبرّأ العِقـاب
ضغينـةٌ (3) لم تدع الإماما ... حتّى رَمَى فى يدِها الزِّماما
وزلّة الكبيرِ أكبر الزّلل ... وَإن أُحيطت بالطِلاء والعِلل
خاف الإمامُ أن يكون فِتنه ... سـياسةٌ عاليةٌ وفِطنـه
كم هاصتْ الممالكُ العظـاما ... مَخافَةَ أَن يَقْطَعُوا النظـاما
وكم مرجّى السبْق ماتَ بالكمد ... قَدْ وَقَفَ النّاسُ لَهُ دُونَ الأَمَدْ
أُعيـذُ مِنْ مَضلّةِ الحقد عُمر ... مثـلُ الإمامِ بالمراشد ائتمرْ
لَعَلّهُ أَبْصَرَ وَجْهَ مَنْفَعـهْ ... أَوْ خاف ضُرًّا فرَأى أَنْ يَدفعه
فالسيفُ لا تأمنهُ أَنْ يَنْقلِبْ ... كم غَلَبَ الحقُّ بِهِ وكم غُلِب
فى طبْعِهِ الطـيْرةُ والشُرُورُ ... وَرَبُّه يوما به مغـرُورُ
وكَيْفَ غَدَرَ ابنُ الوليدِ كَيْفَا ... اللهُ أوْفى وَأبرُّ سَـيفَا

* * *

لا أشيم سيفاً سله الله على الكافرين . فلما رجع خالد ودخل على أبي بكر وأخبره بجلية الخبر واعتذر اليه قبل عذره . ولكن عمر أهانه وأسمعه كلاما أليما .

الأمر الثاني — وهو الأهم — اقبال جند المسلمين على خالد بن الوليد ، وحبهم له . واستماتتهم بين يديه في كل مشاهده فى العراق والشام لشجاعته ، وحزمه ، وتوفيقه في الحروب ، وانتصاره على الأعداء . عرف مشاعر بن الخطاب فوقع في نفسه شيء منه ، وخشى من اقبال الناس عليه . عرف أن فى نفس خالد من جهته ما فى نفسه من جهة خالد منذ قرعه ذلك التقريع الشديد عقب حادث مالك بن نويرة . فبادر الى عزله قبل أن يصل خبر توليه منصب الخلافة الى المسلمين ، وخالد أمير على جيش عظيم منهم وقد جهر عمر بهذه الحقيقة . فقد روى أنه استدعاه بعد عزله الى المدينة فعاتبه خالد ، فقال له عمر : ما عزلتك لريبة فيك ولكن افتتن بك الناس ، فخفت أن تفتن بالناس .

(1) الكل من السيوف الذى لا يقطع . (2) العقاب قيل الراية . وقيل العلم الضخم . وقيل الحرب . وكل يصلح أن يكون مراداً فى هذا المقام . (3) الضغينة الحفيظة أو الحقد .

عَجِبْتُ مِمَّنْ مَلكَ الرومانا وَدانَ بعـــد فارس الرُّومانا
ومن قَنَاه كل يوم فى ظَفَرْ وخيلُهُ من ســفَرَ الى سفر
تَتكلُ الطـيرُ على بنوده ويَنْزِلُ النَّصْرُ على جُنوده
تَهَيَّبَ البَحْرَ وخافَ حَرْبَهُ وحَرَّمَ المُجـاهدين قُربه
ظـل الولاةُ يَنشطُون الرّاحا فلا يُلَبِّيَ لهمُو اقــتراحا
كم حسّنُوا النَّفعَ وقبّحَ الضّرر خوفا على جُنُودِه من الغَرَرَ[1]
وقال لم يأْذَنْ ولم يُسـلِّمْ لا أشترى الرُّومَ بنفسِ مُسلِمِ
كانَ الامام وهو للعـدل علَمْ لم يُنصفِ الرُّومَ وللبحر ظلم
كم جرّ نفع المسلِمين الرُّومُ والبحرُ عن أبدا مرُوم
يَنْهَضُ بالملك العظيم فاتِحهُ لأنَّهُ مِنَ الثرى مفـاتِحهُ
فَيْروزُ منهُ يَبْرَأُ النَّصـارَى ومِثْلُهُ الى الجحيم صَـارَا
لا دِينَ لِلْبَاغِى وإنْ تَدَيَّنا كَفَى بِقتْلِ النَّفْسِ ظُلْما بَيِّنَا

---

(١) الغرر الخطر .

مقتل عمر

شَكا إلى الخليفةِ ابنُ شُعبَه[1] لِكُلفٍ يَزْعُمهنّ صَعْبَه

فلَمْ يجِدْهُ عُمَرٌ مَظلُوما ولا رأى سيِّدَهُ مَلُوما

وكانَ بالصَّنْعةِ ذا إلمامِ وحَسْبُهُ شهادةُ الإمامِ

إن يُذكرِ الرومُ اليهم ينسبِ وهو مِنَ الفرسِ وفى الرومُ سُبي

إنَّ انكِسارَ الفُرسِ شرُّ كسرهْ صيَّرَ وجدانَ الغلامِ حَسْرَهْ

فباتَ للفاروق يُضمِرُ الإحن بما أصابَ قومَهُ مِنَ المِحَنْ

والثأرُ بالأهلِ الكِرامِ والوَطَنْ قَضيةٌ قَدْ شَغَلَتْ أهلَ الفِطَنْ

لَوْ لَمْ تَلِدْهُ الأرضُ شرَّ صِلِّ ما اقتحمَ المُكبِّرَ المُصلِّى

انساب مَلأى مِنْ نقيعِ سُمِّهِ حديدةٌ قَدْ لفَّها بِكُمِّهِ

أغمدَها فى هيكلِ الجلالِ وشامَها فى كرمِ الخِلالِ

فرحمةُ اللهِ عليكَ يا عُمَرْ غامرةً كمدْلِكِ الذى غَمَرْ

---

(١) ابن شعبة هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قاتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . هو فارسي الأصل من نهاوند . كان قد أسره الروم . ثم أسره منهم المسلمون . ولما قدم سبي نهاوند صار أبو لؤلؤة لا يلق منهم صغيراً الا مسح رأسه وبكى وقال : أكل عمر كبدى ! !

وقد ذكر المؤرخون عن مقتل عمر أن أبا لؤلؤة هذا شكا اليه ارتفاع الخراج الذى ضربه عليه مولاه المغيرة وطلب اليه تخفيضه . فن قائل إنه وعده خيراً ، وعزم أن يخاطب المغيرة فى تخفيف الخراج عنه ومن قائل إنه سئل كم خراجك ؟ ؟ . فقال: درهمان في كل يوم . قال : وما صناعتك ؟ ؟ . قال نجار نقاش . حداد . قال فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال . فتوعده الغلام وانصرف فقال عمر : توعدني العبد .

خلافة عثمان بن عفان

مَن لقتيلٍ بالسّفا [1] مُكفّنِ … مرّتْ به ثلاثةٌ لم يُدفَنِ

تَعرِضُـــــه نوادبًا أراملُهْ … ويشفقُ النعشُ ويأبى حاملُهْ

قـد حيل بين الأرض وابن آدما … ونوزعتْ دارُ البقـاء قادما

مُثّلَ بالمهـــاجرِ [2] المُثنّى … على عُـــلوٍّ شأنه والسنِّ

تنبو العيونُ اليومَ عنه جيفهْ … وأمسِ كان نورها خليفهْ

قد عرِيَ المِنبرُ من أسمائهِ … ورفلَ المُصحفُ فى دمائهِ

تلازما تـــلازم اللِّداتِ [3] … خِلّيْنِ فى الحيـــاة والمماتِ

كَنزٌ عليه نُقِبَ الجـــدارُ … ورُقيتْ بالســـارقين الدارُ

ومَلِكٌ بمَدرج الأوغادِ … مِـــن رائحٍ يلطمُه وغادِ

من كلِّ رُستاقٍ [4] وكلِّ حاضِرهْ … عقاربٌ والنملُ غيرُ حاضرهْ

أتوْا مِـــن السواد والصعيد … شقاوة للبـــلد السعيدِ

ولما أضمر أبو لؤلؤة قتل عمر اصطنع له خنجراً له رأسان وشحذه وسمه ثم أتى به الى الهرمزان . فقال كيف ترى هذا ؟؟ قال انك لا تضرب به أحداً الا قتله . فراح أبو لؤلؤة يراقب عمر ويترصده . وبينا هو فى صلاة الغداة قام وراءه . فلما كبر طعنه في كتفه . ثم فى خاصرته . وقيل ضربه ست ضربات فسقط عمر ، وقام المصلون يحاولون القبض على أبى لؤلؤة فأخذ يطعنهم عــدة طعنات أصابت مقاتل الكثير منهم .

(1) الغبار . (2) عثمان رضى الله عنه . (3) الأتراب . (4) الرستاق القرية والحاضرة المدينة .

لإحنةٍ أو غيّةٍ أو سَلّهْ (١) وقلّ من جاء لخير المِلّهْ
وخِيضَ في القضيةِ السخيفهْ (٢) ومُلئتْ دارُ الرسول خيفهْ
وبَخِلتْ بالنُّصرةِ الأنصارُ وأَخّرتْ نَجدتَها الأمصارُ
وقرّتِ الفتيانُ في الحِجالِ وفرّتِ الشيخانُ بالآجالِ
ونُصِبَ الوصيُّ (٣) بالسفارهْ وانتُدِبَ السِّبطانِ للخِفارهْ (٤)
وابنُ أبي بكرٍ (٥) مع الثُّوارِ بنيَّ الحواريِّ على الحواري
يا ليت شعري كيف ولّاه على ليت الإمامَ المرتضَى لم يفعلِ
كيف يُولّى مصرَ مخضوبُ اليدِ من راشــــدٍ مُوفَّقٍ مؤيّدٍ ؟
الرأسُ في الشغْبِ (٦) سواءٌ والذَّنَبْ لا تبرأ العقربُ من ذنْبِ الذَّنَبْ

***

إن محمدا على الشيخ افـــترى وجرّأ الناسَ عليــه واجترى (٧)
آذاه في حُجرتِهِ مخـــذولا ممتنعاً قيـــادُه مبـــذولا
عاينَ فيهـــا الموت أربعينا ينتظرُ النـــاعِيَ أو المُعِينا (٨)
وشرُّ ما هبّ عليـــه الغافلُ إن حكمتْ في العِليةِ الأسافلُ
إبنُ ثمـــانينَ فتيُّ النيّهْ مُوطِّنُ النفس على المنيـــهْ
لم يُعطِهِم، حيث النفوسُ تجزعُ، خـــلافةَ الله التي لا تُنزَعُ
أليستِ النفسُ تموتُ مرّةْ فخُذْ عليها أنْ تموتَ حُرّةْ

---

(١) السرقة . (٢) يفهم القارىء ان شاء سخف القضية العثمانية من الأبيات الآتية .
(٣) على رضى الله عنه وكان السفير بين عثمان والثائرين . (٤) هما الحسن والحسين وكانا في خفارة عثمان . (٥) كان محمد أبي بكر يدبر ويكيد مع الثوار . (٦) الفتنة . (٧) هو كما تقدم محمد أبي بكر وكان شديداً على عثمان عرضاً عليه . (٨) من ينقذه .

* * *

فإن تسل ماذا أتى عثمان ؟ ... مما يرد الدين والإيمان

تجد دعاوى القوم لفقوها ... وسلما بالدين نفقوها

زروا على الإمام ما لا يزرى ... وأركبوه الحسنات وزرا

واستنكروا علوه بالدور ... عن دارة الثلاثة البدور (١)

وقال قوم خالف الأترابا ... وحالف الثراء والإترابا (٢)

وكرهوا التمصير والتمدينا ... وزعموا الدنيا تعفى الدينا

ويحهمو ! ما لهمو وماله ؟ ... طاب وطيب الحلال ماله

مال كما شاء العفاف والكرم ... زكا كهدى البيت أو حلى الحرم

والزهد حال للقلوب والنهى ... ما أمر الله به ولا نهى

وهذه الدنيا يد العظيم ... وسره في ملكه النظيم

أسكنها العقل فكانت أشرفا ... من كل زاه في السماء أشرقا

أحل منها ما صفا مشارعا ... وحرم الآفات والمصارعا

وساقها للأنبياء ترشف ... هذا سليمان وهذا يوسف

وأين من شأنيهما عثمان ؟ ... على الذي خوله الرحمن

استقبحوا إحسانه العميا ... أن يشمل القريب والحميا

وأن يناط القطر والولايه ... بمن له الصهر أو الولايه

وردّدت قولهمو الغوغاء ... كما تعيد القول ببغاء

واتخذ المشاغبون آله ... وقيل عثمان يخص آله

---

(١) هم متقدموه من الخلفاء . (٢) الأيسار .

رماهمو بعضُ الشيوخ من حسدْ ووقعوا فى الرأس طعنا والجسدْ

* * *

يا حبــذا وُلاتُه الأخيارُ ورأيُه فيهــم والاختيارُ

من حَسَنِ السيرة بالأمس أمرْ تحت النبيّ والعتيقِ وعُمَرْ [1]

كهلٍ على الأمرِ قوىّ الكاهلِ بين الحوارىّ وبين العاهلِ

أوْ ذى شبابٍ تُرتَضَى حكومتُهْ لا فضلُه خافٍ ولا أرومتُهْ [2]

مُقــدمٌ للفضلِ والأرابهْ وليس للصهرِ ولا القــرابهْ

يَضافُ مرفوعاً الى الإمامِ إضافةَ البــدرِ الى التمامِ

فِتيانُ مُلْكٍ وبنو خــلافهْ قد صَدقوا الأبوّةَ الخلافهْ

قــد فتحوا قُبْرُسَ للإمامِ بالسُّــفُنِ المُزْجاةِ كالغمامِ

فأصبح القاصى من البرّ اقتربْ وصار بحرُ الروم لُجّةَ العربْ

وخفقتْ كتائبُ الإسلامِ فى البحر أعلاماً على أعلامِ

فخرٌ لذى النورينْ أىُّ فخرِ وهمةٌ تذكَرُ لابن صخرِ [3]

يا طالما بالغَ فى الخطــابِ فلم ينلها من فتى الخطّابِ

سبحان من فرّقَ فى الأئمهْ ما جــلّ من مَنقَبةٍ وهِمّهْ

له الكمالُ وحــدَه والمُلْكُ وهْو الدوامُ وســواهُ هلْكُ

---

(١) أى جلهم كانوا عمالا لرسول الله وللعمرين . (٢) أصله وعتده . (٣) هو معاوية رضى الله عنه أول من أركب العرب البحر .

الخصمان

يا فطنـــا بسيَر الكبارِ مُفتتنـــا بغُرر الأخبـــار

وطالبَ الجوهر فى التراجِم ملتمسَ التبـــر من المناجم

جئتك بالبرجاس والمرّيخ[1] خصمين بين يدى التاريخ

قَرَنْتُ خيرَها تُقى وعلما[2] بخيرها سياســـةً وحلما[3]

بل قرنَتْ بينهما أيدى الغِيَرْ[4] وافترقا على التـــلاقى فى السِّيَرْ

أبو الشهابين وهل يخفى القمر[5] والثاقبُ الرأى اللعوبُ بالزمر[6]

أو قـــيّمُ الدين ولا أحابى وقيّم الدنيـــا من الصحـاب

إن ذكر الآباء جاآ بالقمر[7] جَـــدّاً نماه العتيق وعمر[8]

تحـــدرا مُزنينِ من غمـــامِ ولاقيا الديمـــةَ فى الأعمامِ

قُربَى على تفـــاوت المنسوب كالمومُ والشهد من اليعسوب[9]

---

(١) البرجاس المشترى يعنى بالبرجاس والمريخ عليا ومعاوية . (٢) علياً . (٣) معاوية .
(٤) يريد بالغير ما شجر بين على ومعاوية . (٥) على والشهابان الحسن والحسين .
(٦) معاوية . (٧) عبد مناف وهو جدهما الذى يلتقيان فيه . (٨) العتيق أبو بكر .
(٩) الموم الشمع ، اليعسوب امير النحل .

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

أما الأمام فالأغر الهادى ... حامى عرين الحق والجهادِ
العُمرانِ يأخذان عنه [1] ... والقمران نسختان منه [2]
أصلُ النبي المجتبَى وفرعُهُ ... ودينُه من بعده وشَرعُهُ
وصفحتاهُ مقبِلاً ومدبرا ... وفى الوغا وحين يرق المنبرا
يدنو الى ينبوعه بيانا ... ويلتقى بحراهما أحيانا
الحجر الأول فى البناء ... وأقرب الصحبِ بلا استثناء
وأزهدُ الناس وفى الدنيا يدُه ... وأخشع العالم وهو سيده
وجامعُ الآيات وهى شتى ... ومُسَدَّدُ القضاء بابُ الإفتا
والشُهُدُ الآوى الى أشواقه ... إذا الظلامُ مدّ من رواقه
بحرُ الهوى والقوم رُكْبُ السفُنِ ... كم من شِراعٍ دون عبريه فنى
يا ليت شعرى والأمور تَخْفَى ... والفكرُ فى هذا الطريق يحفَي
ما ساء هذا الناس من عَلِىّ ... وحاد بالناصرِ والولىّ
وغرّ بالليث الذئابَ العاويه ... وسهّلَ الغابَ على مُعاويه
قيل دم الشيخ الضعيفِ المُسْلَمِ [3] ... يطلبه اللهُ وكلُّ مسلمِ

---

(١) العمران أبو بكر وعمر . (٢) القمران الحسن والحسين . (٣) عثمان .

تركُ الإمامِ قاتلَ الإمامِ ... أخـــلّ بالهيبـــة الزمامِ

وقيـــل بل أدلّ بالمكانه ... ولو تصورَ الخشـــوعُ كانه

والزهوُ أحيانا من المعـــانى ... إن مال من معاطف الشُّجْعان

وقيل فى ســـياسة الطباعِ ... وفى المداراة ، قصـــيرُ الباع

لو صانع الإمامُ أو تأنَّى ... ما بلغ الشـــامىُّ ما تمنَّى (١)

وقيـــل عِلمٌ ما له انتهاء ... لم يجرِ فيـــه الرأىُ والدهاء

فى ثقـــةٍ بمن به لا يوثَقُ ... ولا يدومُ عهـــدُه والموثِقُ

ونبـذُ رأى الناصح الماحض (٢) ... فى قُحَم الأمرِ وفى المداحضِ (٣)

وقيل أخفق الثلاثة الحسدْ (٤) ... وكادتِ الجيفـةُ تأكلُ الأسد

لا بل هو المنـازعُ التـوّاقُ ... طِلبتُه الأعبـاء والأطـواقُ

سما اليها بعيونِ الفضـــلِ ... وحنّتِ الحسناء تحت (٥) العَضْلِ

من كان فى منزله الرفيـــع ... يدرِ مكانَ منـــبرِ الشفيع

وطالما اسـتأخرَ غـيرَ فاحمِ ... ولاذَ بالحيـــاء لم يُزاحمِ

يا جبـلا تأبى الجبالُ ما حَمـلْ ... ماذا رَمت عليك ربةُ الجمل (٦)

أثأرُ عثمانَ الذى شـــجاها ... أم غُصـــةٌ لم يُنتزَعْ شَجاها

قضيـــةٌ مِن دمه تبنيهـا ... هبّتْ لها واستنفرتْ بنيها (٧)

ذلك فتقٌ لم يكن بالبـال ... كيدُ النساء مُوهِنُ الجبـال

---

(١) الشامى معاوية . (٢) أمحضت له النصح اذا أخلصته . (٣) القحم الأمور العظام الشاقة . والمداحض المزالق لا تثبت عليها الأقدام . (٤) الثلاثة الصديق وعمر وعثمان . (٥) العضل حبس المرأة عن الزواج . (٦) عائشة أم المؤمنين . (٧) قضية من دمه — أى دم عثمان .

وإن أمَّ المؤمنين لامرأه ... وإن تلكُ الطاهرة المبرّأه

أخرجها من كنّها وسنّها ... ما لم يُزِلْ طولُ المدى من ضِغنها

وشر من عَداكَ من تقيه ... وَمُلقِيَ السلاحِ تلتقيه [1]

جهزها طلحةُ والزُّبيْرُ ... ثلاثةٌ فيهم هدى وخير

صاحبةُ الهادي وصاحباه ... فكيف يمضون لما يأباه ؟

ياليت شعري هل تعدَّوا وبغوا [2] ... أم دمَ ذى النورين بالحق بَغوا ؟

جاءت الى العراق بالبنينا ... قاضين حق الأم محسنينا

فانصدعتْ طائفتين البصره ... فريقُ خذل وفريقُ نُصْره

أو ذادةُ البيعةِ والذمامِ ... وقادةُ الفتنةِ والزمام [3]

وانتهكَ الحيُّ دماء الحيّ ... من أجل ميت غابر وحيّ

وجاء فى الأسد أبو تُرابِ [4] ... على متون الضُمرّ العِراب [5]

يرجو لصَدعِ المؤمنين رأبا ... وأمُّهمْ تدفَعُه وتأبى

وعجِزَ الرأيُ وأعيا الحِلمُ ... وخُطِبتْ بالمرهَفاتِ السِلمُ

من كل يوم سافكِ الدماء ... تعوذ منه الأرضُ بالسماء

تجرُّ ذاتُ الطهرِ فيه عسكرا [6] ... وتَذمُرُ [7] الخيلَ وتُغرى العسكرا

ظل الخِطامُ من يدٍ الى يد [8] ... كالتاج للأصيد بعد الأصيد

---

(١) أى شر من ظلمك من تلتقيه وأنت ملق السلاح لا تشهره فى وجهه ومن لاترى بدأ من تجنب ايذائه . (٢) يقول ان عائشة وطلحة والزبير جاروا وظلموا بخروجهم على على . (٣) أى زمام الجمل الذى كانت تركبه عائشة . (٤) فى الأسد — جيش على ، وابوتراب كنيته . (٥) متون ظهور ، والضمر جمع ضامر ، والضمر الهزال وهو ممدوح فى الخيل ، والعراب الخيل الكرائم الخالصة من الهجنة . (٦) اسم الجمل الذى كانت تركبه عائشة . (٧) تذمرالخيل تحثها . (٨) الخطام خطام الجمل .

مستلِمًا توهّى الغيوثُ دونَه — وبالدماء أنهـــراً يفدونه
حتى أراد اللهُ إمســـاك الدم — فى كريمٍ لسيفه المقـــدّمِ
وظفـــرتْ ألويةُ الأمام — وألقتِ البصرةُ بالـــزمام
فرُدّتِ الأمُّ الى مقـــرّها — مبالغاً فى ثقلهـــا وبرّها
وظللتْ مَن حلّ أرضَ الملحمهْ — من الفريقين سمـــاء المرحمهْ
هلكى بكى البيتُ عليهم والحرَمْ — الموتُ دون المهدِ غايةُ الكرمْ

* * *

يا يوم صـــفّين بمن قضاكا — هل أنصف الجمان اذ خاضا كا
فيـــك انتهى بالفتنةِ التراقى — واصطدم الشآمُ بالعـــراق
ونقدتْ بقيةٌ من صَحبِ — تلقتِ الطعنَ بصدرٍ رَحبِ
بنو الظُبَى ، أبوّةُ الأسنّهْ — آلُ الكتاب أولياء السُّنّهْ
لقـــد وفَى بدرٌ لهم أهلّهْ — وختمتهمْ مشيخةٌ أجِلّه [1]
لو فى بنـاء المجد ذلك الدمْ — بل عمدوا لما بنَوْا فهدّموا
فيـــا مجالاً قصرَ الأعنّهْ — ومدّ فى اشتجارها الأسنّهْ
ترجرجتْ بالفئتين أرضهُ — وضاق عنهم طولهُ وعرضهُ
ووقع الأمجاد بالأمجـــاد — وخرّ « عمار » من النّجادِ [2]
ما كان ضرّ نصراء [3] البيعه — لو صبَروا على الوغى سُويعة
بينا بُنودهمْ هى العوالى — والنصرُ حولَ البيض والعوالى
غادرهمُ بسحره معـــاويهْ — كأنهم أعجازُ نخلٍ خاويه

---

(١) عاتهم يوم صفين وهم شيوخ أجلة ، ووفى بدر لهم وهم شباب أهلة . (٢) هو عمار بن ياسر وقد خر وهو يقاتل . (٣) نصراء البيعة أصحاب على .

أَلْقِي القَنـــا وشرع المصاحفا ... يَنْشُدُ باللهِ الخَمِيسَ الزاحفا [١]

فلا تَسلْ عن فشلِ العزائمِ ... ولم يزلْ طليعةَ الهـــزائمِ

انقطع النَّظمُ والانقيـــادُ ... وحكمتْ في الشُّكُمِ الجيادُ

واقتيتَ في الرأى على الأعيانِ ... وهُدِّدَ الإمامُ بالعصيانِ

ما كان في قبوله التحكيما ... على علو رأيه ، حكيما

لا يُرفعُ المُصحفُ كالدفوفِ ... والسِّلْمُ لا تُذكَرُ في الصفوف

ورأيه في الأشعرىّ أعجبُ ... لله فيه قـــدرٌ مُحجَّبُ [٢]

أين أبو موسى وأين عَمْرو ... لا يستوى مجرّب وغُمرُ [٣]

أمَن دها قيصرَ والمقوقسا ... كمن على مصحفه تقوّسا؟

قام فـــردّ الرجلين ونزل ... وقام عمرو فأقرّ وعـــزل

أبى عليا وارتضى معــــاويه ... ونقض المنبرُ عقد الزاويه

يا زيدَ [٤] كلّ مُسرَجٍ ومُلجَمِ ... كيف علا غُرّتك ابنُ مُلجمِ [٥]

---

(١) الجيش الهاجم . (٢) هو أبو موسى الأشعرى . (٣) الغمر غير المجرب .

(٤) اى يازيد الخيل . (٥) هو عبد الرحمن بن ملجم المرادى كان من أهل مصر وهو الذى قتل عليا بن أبى طالب . فقد اجتمع ملجم هذا ، والبرك بن عبد الله ، وعمرو بن بكر التميمى فى مكة مع آخرين من الخوارج سنة أربعين وتحادثوا فى أمر الناس وفيما هم فيه من الحروب والفتن والشحناء . فتعاهد الثلاثة على أن يكفوا الناس عليا ، ومعاوية ، وعمرا ابن العاص . فقال ابن ملجم أنا أكفيكم عليا . ثم أقسموا بالله ألا يرجع أحدهم عن صاحبه الذى توجه اليه حتى يقتله أو يموت دونه . فأخذوا أسيافهم فغمسوها فى السم وذهب كل الى غرضه . مضى ابن ملجم حتى أتى الكوفة فالتقى فيها بجماعة من تيم الرباب — قتل منهم على يوم النهر عشرة — وفيهم امرأة يقال لها قطام — قتل على أباها وأخاها يوم النهر أيضا — بارعة فى الجمال ، فلما رآها أذهلته فخطبها . فقالت له لا أتزوجك حتى تشفينى . فقال وما يشفيك ؟ قالت ثلاثة آلاف ، وعبد ، وقينة ، وقتل على . قال هو لك مهر ، أما على فلم أرك ذكرته لى وأنت تريدينى . قالت بل التمس غرته فان أصبت شفيت نفسك ونفسى ويهنئك العيش معى ، وان قتلت فما عند الله خير وأبقى . فقال لها : والله ما جئت هذا المصر الا لذلك ، ثم اختارت له مساعدا من قومها واختار هو مساعدا آخر . فلما كانت ليلة الجمعة ١٥ من رمضان ترصدوا له حتى خرج يريد صلاة الصبح فضربه ابن ملجم فى قرنه بالسيف وهو ينادى « الحكم لله لا لك يا على ولا لأصحابك » .

أصـــاب قرناً لا تُرام شمسُهُ ... أعيا على الأقرانِ دهراً لمسُهُ

بالمرهفِ المسموم فيما قد ذُكِرْ ... وكلّ شيء قَتَلَ ، الماضى الذكرْ

يا شؤمَ سيفٍ قطع الصـــلاةَ ... واغترَ ليثَ الغابة المِصْلاتا[1]

ولم يك ابنُ ملجمٍ صُعـــلوكا ... بل غاليـــاً يقتحِمُ المـــلوكا

وضاريا فى دمـــه العُدوانُ ... لم يَخْلُ من أمثـــاله أوانُ

وقال قـــومٌ ذاك مُسلِمٌ نقِمْ ... حكومةَ القرآنِ فهو منتقِمْ

قولٌ غدا عند النُّهَى مرفوضاً ... لو صح راح العالمون فَوضَى

الرأىُ للأمـــةِ فى الوُلاةِ ... وليس للغضابِ والغُـــلاةِ

وقتلكَ الانسانَ غِيلةً شَنِعْ ... الجبنُ أن تَقتُلَ من لا يمتنِعْ

النفسُ لله والنظـــامِ ... والدمُ إحدَى الحُرَمِ[2] العظامِ

فكيف بالبغى على عَلىّ ... الراشـــدِ المقرّبِ الولىّ ؟

* * *

مالكَ والنـــاسَ أبا ترابِ ! ... ليس الذئابُ لك بالأترابِ

هم طرّدوا الكليمَ[3] كل مَطرَدِ ... وأتعبوا عصـــاه بالتمرّدِ

وزُيِّنَ العجلُ لهم لمـــا ذهبْ ... وافتتَنوا بالسامِرىّ والذهبْ

وبابن مريمٍ[4] وشوْا ونمّوا ... واحتشـــدوا لصَلبِهِ وهمّوا

وأخرجوا محمـــداً من أرضـه ... ومرّحتْ ألسنُهم فى عِرضـه

وغيّبوا المسوّىَ الفاروقا[5] ... وخـــيرَ شمسيْهم لهم شروقا

---

(١) الماضى فى الأمور . واغتره : أتاه على غرة (٢) أى النفس لله وللشرائع يحكمان فيها
(٣) موسى عليه السلام (٤) هو السيد المسيح . (٥) هو عمر بن الخطاب .

وذبحوا الشيخَ[1] على القُرآنِ حتى بَكى الذِّكْرُ[2] بدمعٍ قانِ

وهبّ منهم من لحقّكَ اختلسْ وَنجموكَ بالصلاة فى الغلسْ

وأشرقوا الحسينَ بالدماء[3] ملوّحاً بين عيون الماء

فاسمُ سموَّ الزاهدِ الحوارى فى درجاتِ القربِ والجوارِ

إن زالَ مُلكُ الأرضِ عنك من مَلِكْ يا طولَ ملكٍ فى السماء تم لكْ!

---

(١) عثمان بن عفان . (٢) القرآن . (٣) هو الحسين بن على وقد قتل ظمآناً فى كربلا .

معـــاوية

فى الدهر لم تصنع قيون الهندِ	ولم يَسُلَّ الشرق كابن هنـــدِ
المبقرىّ الملك الخليفــــه	السعد كان أبداً حليفـــه
ما زال بالحبـــال والعِصىّ	من سحره فقـاز بالوصىّ
أرسل فى حب الأمور الرسَنا	وفى هوى الدولة جاف الوَسَنا
حتى نعى علياً النُّعـــاة	فانقلبت مـلوكاً الرعاةُ
وراقت الدنيـا ورق الدينُ	وانفجر التمصير والتمـدينُ
وصيّر البيتَ سليبَ الحـــقِّ	والآلَ من مســيادةٍ لرقّ
قـد نَصبَ الحِلْمُ لهم حبائلاَ	ورُبَّ حِـــلمٍ جمع الغوائلا
وراضَ من شـكائِمِ الأُباةِ	بهيبـةِ المُلكِ وبالهِبـــاتِ
فذالت الأخـلاقُ والنيـاتُ	وبذلتْ واديَهـــا الحيّاتُ
وثَمَّ ما يسألُ عنـــه اللهُ	وصاحبُ الدين ومَن تــلاه
قطعُ نظام العهد فى الإسـلام	وأخـــذُه البيعةَ للغـلامِ
حتى علا التـــاجُ على العِمامهْ	وعاد مُلْـكاً نَسَقُ الإمامهْ
جنـايةٌ أدركـت الأجنّهْ	ووقفتْ للـــدين فى الأعنّهْ
تحت هوى الآباء للأبنـــاء	حبُّ البقاء وقِلَى الفنـــاء
تشبّثُ الوالدِ بالمـــولودِ	يُحسَبُ من توهُّم الخلودِ

إرفع قواعــــدَ الفَخَار وابنِ　　لاتدّعِمْ عـــلى أبٍ ولا ابنِ
لا يرفع الجِذعُ عن الارض الثمرْ　　ولا يحطُّ نسبُ الليـل القمرْ

* * *

لا تعجبنّ من عظيمٍ ما فتَقْ　　واعجبْ له كيف تلافى ورتَقْ
ما كلُّ ذى حربٍ وذى لدادِ　　يجابر الوَهْي ولا ســـدّادِ
جـوّ الولايات خـلا لنَسرهِ　　واجتمع الأمر له بأمرهِ
فلا تسلْ عن انبساط المُلْكِ　　ورفقِ ربّانيّه بالفلكِ
الشرقُ تحته تخيرِ مهـــدهِ　　والغرب يقضى ليلَه بسهدهِ
مبـــاركٌ لقومه فى عُمرهِ　　ميمونة لهم معــــالى أمرهِ
رَبِّ اعفُ عن جرأته عليكَ　　فالعفو منـك والرضى اليـكَ
لم يسلُ فى العفو عليـه كُفْوُ　　فأرِه كيف يكون العفو

عمرو بن العاص

ما بالُ قصرِ الشمعِ لا يُضاءُ ؟ هبَّ على مصباحــــه القضاءُ

لا فِتيــــةُ الرومانِ فى بُروجِهِ ولا غوانيهمْ على مروجــــهِ

ولا الليـالى حوله أعــــراسُ وفوقه وتحتـــــه أحراسُ

وما لبابليون من بَعـد العجمْ أمستْ رجاماً فى نواحيه الأجمْ ؟

لم تُغنِ عنه رفعــــةُ الأسوارِ ولا جثومُ الأُسـدِ الأسوارِ (١)

وأينَ فى أفقيْها (٢) فسطاطُ للنجم عن سُــدّتهِ انحطاطُ

قد ألقيـــا إليـه بالمَقــــالدِ وخرجا من طــــارفٍ وتالدِ

سُرادقٌ ينفــــذُ حُكمُ ربِّهِ من منبعِ النيــــلِ الى مَصبِّهِ

أوى الى أطنــــابه اليمــــامُ لأنهــــا الرحمــــةُ والغمامُ

وأمِنَ الأعزلُ فيـــه الشاكى وحذر المشكوَّ صوت الشاكى

حفَّتْ به القبـــــاب والخيامُ وســـالتْ ضـــاربَه الأيامُ

لم يبـــقَ من ذلك إلا مَسجدُ عالٍ على باعِ الخطوب مُنجِدُ (٣)

كالكعبة الرفيعـــةِ الدعامِ ما حُجَّ إلا مرةً فى العـــامِ

إن كان لم يَعلُ عُلوَّ الهيكلِ ولبس باللوّنِ المُشـــكّلِ

لقد تردّى حُلَلَ الجـــلالِ بالباتَيْنِ الحقِّ والحــــلالِ

---

(١) الوثاب (٢) ضمير راجع لقصر الشمع وحصن بابليون (٣) مرتفع

أميرُ كلِّ هيكلٍ ومعبدِ   فاتهما بالسؤدد المؤبّدِ

نسّى الديانات بعصر قبلَهْ   ولا يزال للقلوب قِبلَهْ

* * *

إسلامُه وخالداً فى آنِ   حلّ على الشرك به رُزْآن

السيف والرأى بيومٍ أجْمَعَا   واستأذنا على محمدٍ معاَ

فانقلب الحقُّ بهذا فرندا (1)   وعاد هذا بالهدى مُسدّدا

بالفاتحيْن بُشّر الإسلامُ   واستقبلت آمالَها الأعلامْ

كلاهما كان رضى النبوّهْ   لم تَشْكُ كَلّه ولا نُبُوّهْ (2)

وبازَ من صاد وسهمُ مَن رمى   من الهُداةِ الراشدين الكُرَما

ما ضرّ عَمْراً مُنضِجَ الهواجرِ   إن كان لم يَنصُرْ ولم يُهاجرِ

كم هجرَ النومَ أبو محمدِ   واكتحل العِثْيَرَ بعد الإثْمِدِ

* * *

عَمْرُو القنا والرأى والجدودِ   رمى به الفاروقُ فى الحدودِ

على فلسطينَ حَمَى الراياتِ   وحمّلَ الخيلَ على الغاياتِ

إذا المَضيقُ لم يجد مَضاء   للسيف، قام رأيُه فضاء

حتى حوى لعُمَرَ الإقليما   وحاز للإسلام أورشليما

فتحٌ تولّى صكّه الإمام   وأخذَ الميثاق والزمام

يا صخرةَ الله اشهدى أن عُمَرْ   أبرُّ من نهى وأوفَى مَن أمرْ

* * *

(1) اى سيفا ماضيا   (2) كل السيف لم يقطع ونبا عن الضريبة ارتد عنها

عما إلى مصرَ بطَرْفٍ وطمَحْ ولم يزل بعمرٍ حتى سمحْ

وجهــــــه فهبّ والغزاةَ كما أطار الصيّدُ[1] البزاةَ

يطوى بهم طابخةَ الركائبِ آكلة البعوثِ والكتائبِ[2]

أنماكِ أم أسقيك من بيْداء؟ كانت دواء أبداً وداء

ماذا دهى مصرَ من الطوارى ولقيتْ من ذلك الجــوارِ

كم رعتِهــــا بدائمٍ جرّافِ وآفةُ الجسم من الأطرافِ

وربّ جلادٍ على جلادِ سلّطتِ ويلين على البلادِ[3]

كم عصفتْ منكِ السوافى الهوجُ وهبّتِ الحاصبةُ السيهوجُ[4]

وكم بعثتِ بالمبشّراتِ[5] على موات الحق منشراتِ

وكنتِ إن أرسلتِ رائدينا طويتِ ديناً ونشرتِ دينا

***

شُرّفتِ بالعذراء والمهاجرِ[6] وبالخليـــــل آيبا بهاجَر

وســـيق فيك يوسف جليبا فلقِىَ التمليـــكَ والتغليبا

ووطِئتْ بساطَكِ الأسباطُ وانتظم الشملُ والاغتبـــاطُ

وجُزتِ موسى جائلاً وجائبا يستقبلُ الآياتِ والعجائبا

ومُصبحاً بقفرةٍ ومجهـــلِ وممسياً بربوةٍ ومنهـــلِ

وطالِعاً مخـــارمَ الجبـــالِ وقابسَ النور على الأقبالِ[7]

---

(١) جمع صائد والبزاة جمع باز (٢) اشارة الى الصحراء (٣) اى رب غاز فاتح ومبيد على وادى النيل فجاءه غاز آخر من الجيوش المغيرة يخرجه فكانا ويلين على البلاد (٤) السيهوج من الرياح الشديدة (٥) المبشرات الرياح الطيبة ، اشارة الى الذين دخلوا مصر من الصحراء من الرسل والحواريين (٦) عيسى اذ هو طفل (٧) المرتفعات من الأرض

ترمين أرضَ النيلِ عن قوسِ الفَلَكْ ... يوما بشيطانٍ ويوما بمَلَكْ
تهدين نوراً تارةً ونارا ... والطامسَ المنارَ والمنارا
حتى مشتْ كتيبةُ الحوارى ... عليك كالأنواء والأنوار (١)
وما النجومُ الزُّهْرُ حفّتْ بالقمرْ ... أروع من عمرٍو على خيل عُمَرْ
ولاقنا الأسباط (٢) حول يُوشَما ... أعفّ من قنساها وأخشما

* * *

كتيبةٌ قليلةُ العديدِ ... كثيرةٌ بدينها الجديدِ
طوتْ الى مصرَ القفارَ طيّا ... وركبتْ رياحَها مَطيّا
فبلغ العُمْرانَ عمرٌو فرمى ... بجمعه الرومَ حِيال القرَما (٣)
تسلقوا حصونَها تَسَلّقا ... واقتحموا ماردَها والأبلقا
واخترقوا التخومَ والحدودا ... سبحانَ من يُداول الجدودا
ورووِدتْ بليسُ حتى أذعنتْ ... ورُكبتْ بالمسلمين إذ عنتْ
ترجّل الحماة عن حصونها ... ونزل الأباة عن مَصونها
وظلّتِ الخيلُ تجوب الوادى ... أندى على الريف من الفوادى
يسيرُ فى رُغائها الملاّح ... ولا يحسُّ وطأها الفلاح
حتى بدت منازل الرومانِ ... ساهرةَ الخَطّىِّ (٤) واليمانى
فى حضنِ حِصنٍ أو ذرا لواء ... بعيدَى المَصْعَدِ فى الجواء
فنزلوا سوادَ عينِ شمسِ ... وسادهم رِحالهم كأمسِ

---

(١) الأنواء الأزهار والأنوار الأضواء (٢) الأسباط من اليهود كالقبائل من العرب
(٣) موضع من الحدود كان حصنا (٤) الرمح والسيف

وجشموا الآن عيونا سامية | تجسُّ حصناً أو تجوس حامية
فخرج الرومانُ للقتـــالِ | فى جحفلٍ مدجّج مُختـــالِ
رحى الوغى بمثـــله تدور | وقطبها فى قلبه (تيـدور)
ليس لعمرٍو ما له من كثرة | وخوذةٍ وشِـــكّةٍ ونثرة
فأقعـــد الغازى له الكمينا | وأخذ الشمالَ واليمينـــا
يومٌ عليـــه بنيتْ أيام | لأمةٍ جدودها قيـــام
من يصطبر للصدمة الأولى يَسُدْ | لا يصلح الفلّ[1] ولو كانوا الأُسُدْ
يباب أليونَ تيودور اعتصمْ | فيمن وَهى من الصفوف وانقصمْ
وجيء بالأمدادِ والسوادِ | من شحنةِ الروم وقبطِ الوادى
وظن أن الحصنَ مُعجز العربْ | فما لهم غير النكوص مُضطرَبْ
فان أبوا أذبهم بيومِ | ما بعـــده قائمـــةٌ للقومِ
فوردتْ كتيبة الزُبَيْرِ | وعُمَرُ مصـــدرُ كلِّ خيرِ
وظل بابليون وهو عاصِ | على الزبيرِ وعلى ابن العـــاص
حتى تسوّرَ الزبير ســـورَه | واغـــترّ فى وُكونها نُسورَه
مشى على ناقوسِه مكبّرا | يا لكَ ناقوساً أُحيـــلَ مِنبَرا
أوْفَى على القوم فريعَ البرج | بفـــارسٍ له السماء سَرْجُ
صوتٌ هفا فى الحصن بالعزائمِ | كنبأةٍ فى جوفِ أيكٍ نائمِ
فضاع رشد الروم والصواب | وفُتحتْ من نفسها الأبوابُ

---

(١) بقية الجيش المنهزم

تبـــــارك الله وجلّتِ العربْ　　لم يَثْنِهِم جوٌّ ولم يَعُقْ سَرَبْ
من فتح بلبيسَ لعين شمسِ　　لا يُصبحُ الضيغمُ حيث يُمسى
وركب[1] العِلْج العصا[2] بعن معهْ　　إلا قليــــلاً غودروا فى المعمعهْ
يبغى دمنهورَ بهم نجاءها　　فى مَدَدٍ قد ملأُوا أرجاءها
وإذْ على آثاره خيـل العربْ　　وخيله من هربٍ إلى هربْ
بعـد قتالٍ جال فيـــه الروم　　وطاح أبطالهمو القـروم
واندفعتْ خيل الإمام تعـدو　　يقـــدُمها اليمن ويحدو السعد
حتى بدا الثغر فودّتْ قُبلَهْ　　كما اشتهى العبْسىُّ[3] ثغرَ عَبلَهْ
ورابطتْ بجَرَتِ الأرسـانا　　والتفتتْ تعاتب الفرسانا
وطيفَ بالثغرِ فلا ثنيّهْ　　الا عليها رَصَـــد المنيّهْ
فكيف لا يودِى برشد قيصرا　　أو بصواب قومه أن تحصَرا
أقامهمْ سقوطها وأقعـــدا　　وزعموه فوق طاقة العِـــدا

* * *

وكان فى الاسكندرية الملا　　أملاكَ فى سلطانهم وأكلا
جموعهمْ فى ساحها بلا عَدَدْ　　والبحر يغــدو ويروح بالمَدَدْ
ومن أصاب البحرَ فى سلطانهِ　　عدّ جميعَ الأرض من أوطانهِ
تقضّتِ الأيام والشهور　　والسيف فى غير وغىً مشهور
يفترُّ عن لألائه فم الجُمَعْ　　وتحتها للثغر خوفٌ وطمعْ

---

(١) كل عظيم من الروم　(٢) ركب العصا اى هرب ، من المثل المشهور : فاز من ركب العصا ، والعصا فرس لها قصة　(٣) عنترة المشهور وعبلة حبيبته

وربه يستـــــنزل الرومانا ويعرض الإصلاحَ والأمانا

حتى أُعينَ رَجُل الإمامِ برَجـــــلِ القياصر الهمامِ (١)

وفُتحت مدينة الإسكندرِ صُلحاً وصفواً ليس بالمُكدَّرِ

تأخَّرَ السيف وشارط الندى يا غَبن من يُشارط المُهندا

فقيل راعى المسلمين الوالى وكان فى السرِّ لهم يُوالى

وقيل بل ذو مأربٍ أرادا بسُلطة الـكنيسةِ انفرادا

وكان فى فَروقَ سلطان البِيَعْ تعنو له فى سائر الأرض الشِّيَعْ

حكم جفاه الاعتدال وقسا إنى أراهم ظلموا المُقوقسا

لعـــــله تبيَّن الحقائقا وذاد عن مصرَ بلاء حائقا

ووجـــــد الرومان والقياصرا لا يَملكون فى البلاد ناصرا

يرونها العنف والاستكبارا ولا تُحبُّ الأمم الجبّارا

مما مضى الدهر عليه والاوَلْ أن النجاحَ لفتيَّات الدُّوَلْ

---

(١) هو المقوقس عظيم القبط يوم ذاك

خالد بن الوليد

مَن طَبع السيفَ ومن جلاهُ ؟ | هل يصنعُ الآياتِ إلا اللهُ ؟
إنْسُ الحديد ، بَشَرُ الفِرِنْدِ | ليس بصنع يمنٍ أو هندِ
وكيف لا يَصحبه المَضاءُ | وقينُه المقدارُ والقضاءُ
قلَّدَه من ربّه محمّد | يسُلُّه بإذنه ويغمِدُ
خُلِقتُ لا أعظّمُ السيوفا | الا الشريفَ العالىَ المَيوفا
المقتدى بجدّه من مظلمه | والمهتدَى بنوره فى المُظلِمه
والناصرُ الحقَّ على المُقاتلِ | والضاربُ الباطلَ فى المقاتلِ
والرافعُ الدَّولاتِ ركنا ركنا | بالحق بنيانَ الخليل الرُّكنا
كابن الوليد مَوْئلِ الأعلامِ | سيفِ الإلهِ أسدِ الإسلامِ
طلّقَ جاهليّةَ المعاصى | ودخل الإسلامَ وابنَ العاصِ
كلا العظيمين فتى قريشِ | صدرُ نَدِىٍّ ، ولواءُ جيشِ
تخيّرَ السمحةَ غيرَ دارِ | ما خلفها من عجب الأقدارَ
من نِعمَ تترَى وعيشٍ مُرغدِ | وشأنِ اليوم وذِكرٍ فى غدِ
سبحانَ ربّى مُنشئ النوابغِ | مُرتجِل المواهب السوابغِ
هل خالدٌ الا فتى من فِهْرِ | لم يشتهرْ بصولةٍ وقهرِ
منزلةٌ فى غالبٍ عَليّهْ | وشِيَمٌ تقطرُ جاهليّهْ

زهوُ الصناديدِ بنى الجِلادِ[١] ونفخةٌ بالقوم والميـــلاد

نفسٌ غذتْها الجاهليـــةُ الدّما وأرضعتها جرأةً ومقـــدَمَا

ونُهيـــةٌ كالجوهر الوقادِ لم تبـــد للصائغ والنُقّادِ

فكان من عناية الســـلامِ به اكتسابُ أدبِ الاسلامِ

إذ كان فى دولته مَجـــالُ فيـــه جَلتْ أسرارَها الرجالُ

لا بد للعقل الكبير من وسطْ وللشعاع من مدى ومُنبسَطْ

ربَّ هباتٍ ذهبت هَبـــاء كما أتى بها الترابُ باء

موفّق الآراء والراياتِ معلّقُ الهمة بالغـــاياتِ

إذا غزا عن النبيّ أو سَفرْ اقترحَ النجحُ عليـــه والظَّفرْ

سمّاه سيفَ الله يوم مؤْتَهْ مُعظّماً فى الآخِرين شأْنَهْ

فما مضى فى موطِنٍ أو هَمّا الا وكان اسماً على مُسمَّى

أليس كافِىَ الامام الشدّةْ وقامعَ الفتنـــةِ يومَ الرِّدَّةْ ؟

وقاتلَ الكذّابِ[٢] فى المعاركِ وكلّ أفّاكٍ له مشـــاركِ

أيامه مشهورةٌ فى فارسِ مسطورة فى صحف الفوارسِ

خاض بهـــا الوقائعَ الكبارا وفتح الحـــيرةَ والأنبارا

واحتاجتِ الشام الى همامِ أروع يحمى عسكر الإمامِ

يقحمها على جمـــوع الرومِ وينثنى بفتحها المـــرومِ

وهى تموج بجموع قيصرا وعالَمٍ من عـــربٍ تنصّرا

(١) الجلاد القتال (٢) مسيلمة وكان ادعى النبوة بعد موت رسول الله

قبـــائلٌ فؤادها موزّع ... دينٌ هو الغالى وعِرْقٌ ينزعُ

فلم تقعْ الا عليه الخـــيرهْ ... إن الرجال أفضـلُ الذخيرهْ

تخفّ للغيـــاث فى ليوثِ ... صحـــابةٍ أهِـــلّةٍ غيوثِ

خلّى العراقَ وتولّى الشـــاما ... نجماً لأهوال السرى جشّاما

يقطع غُفْلا ويجوب بائرا ... إن المُغيث من أتاك طائرا

فكان فى السّماوة(١) الرئبالا ... لا تذكر الألبَ وأنّيبـــالا

تخفِق فوق رأسه العقاب(٢) ... فى مَهمهٍ تُنْـــكره العقاب

حتى حوى الجيشَ القرى فصارا ... بين ديار العرب النصـــارى

أحراس تخمٍ وحُماة حدٍّ ... وحاطة الأطراف من تعدٍّ

سل تدمرا والقريتين وأركْ ... هـل ثبتوا لخالدٍ فى معتَركْ

وسلْ به غسّانَ كيف صُبّحوا ... بالخيل جاءت من بعيدٍ تضبَح

هبّتْ على الشام قبولاً ريدهْ(٣) ... فاسترْوحَ الغوثَ أبو عبَيْدَهْ

أوفتْ على اليرموك تَطغى من طربْ ... ياماتمَ الروم ويا عرْس العرب !

أقبل سيف الله يزجى خيلَهُ ... ويلَ هِرَقلٍ منه ثم ويلَه !

وأمّرَ الجيش عليهم خالدا ... وانتظروا اليومَ العظيم الخالدا

فجُيِّء الحـــزبان للطّامِ ... طامٍ يعِبُّ لـــنزال طامِ

ترائيا على تفاوتِ الفئهْ ... ذا مئتا ألفٍ وذا نصفُ المئهْ

---

(١) مفازة مشهورة بين العراق والشام اجتازها خالد بن الوليد فكان عملا عظيما له شأن فى تاريخ الحروب (٢) العقاب الاولى راية الرسول والثانية الطائر المعروف (٣) أى هبت الامداد هبوب الريح اللينة فوجد أبو عبيدة ريح الغوث والنجدة

ونشبت جائحة[١] الدهورِ ... عـــدوةُ القاهر والمقهورِ

فداهمَ الرومَ الرّعيل المسلِم ... إن العتيقَ[٢] بالعِتاقَ أعلَم

واخترق الهيجاء فرسان العجمْ ... تحت سروج الخيل أو فوق اللُّجمْ

أما الرَّجالى[٣] فاحتموا في الخندق ... ليلاً فمُسُّوا بالبلاء المحدِق

يومُ كبدرٍ في الفتوح منزلَهْ ... أمسى هِرَقلُ بعده لا عزَّ لهْ

لما رأى سلطانَه تداعى ... صاح الوداعَ سوريا الوداعا

---

(١) أي نادرة الدهور ـ وهي الحرب (٢) أبو بكر . أي هو أعلم باختيار الخيل

(٣) جمع راجل وهو في الحرب خلاف الفارس

دولة بنى أميه

علمت أن السيفَ بناء الدولْ ... وركنُها فى الآخرين والأُوَل

ما زال فى الممالك الأساسا ... به بناها مَن بنى وساسا

يقصِر حبلَ الملكِ أو يمدُّه ... ما رسمَ الحدودَ الا حدُّه

لم يَبنِ للفرس ولا الرومانِ ... حائطَ ملكيْهما سوى اليمانى

وأىُّ دينٍ بسوى السيف انتشرْ ... كم أُيدت بالسيف أديان البشرْ

لم يغنِ داعى الحقِّ والفلاحِ ... عنها وأغنتْ صَلَّةُ السلاحِ

فلا تقولنَّ بنتْ مَرْوانُ ... ووطَّأ الملكَ لها العدوانُ

كذاك قبل كانت الممالك ... وبعـد لم تختلف المسالكُ

تنـال بالقوة مبتغاها ... وإنما أذهبُهـا أبغاها

***

فى الشرق والغرب بَنتْ أُميَّةْ ... سلطنةَ ليس لها سميَّةْ

خـلافةٌ على البسيطةِ احتوتْ ... شرقَ الثرى حازت وغَرْبَه حوتْ

حيزتِ بجُنـد الجيلِ المجنْدِ ... وأحرزتْ بالرأى والمُهنَّدِ

احتازها من الجرىء القُلَّبُ ... وغلَبَ الليثَ عليها الثعلبُ

بنيـان قطبِ الملكِ والرياسهْ ... داهيـة الأمور والسياسه

وتالهـا من آله ملوك ... تفاوتوا واختلف السلوك

فهمو الدرُّ ومنهمو الحصـــا ومَن هو السيف ومَن هو العصا

خليفة بَرٍّ وآخـــر فَجَرْ ذاحجر(١) الأرض وذا بعض الحجرْ

ما تلك الا دولةُ الزمانِ حلّتْ محـــلَّ دولة الرومانِ

من الطّراز المـــرتقىّ الأوّلِ على الدخيلِ قـــطُّ لم تعوّلِ

لم تعتمدْ على عقـــول فارسِ ولا سيوف الدّيلَمِ الفوارسِ

كالشمس فى الشرق زهتْ ضُحاها والغرب لا يخرج عن رُحاها

تقلّبَ الإســلام فى رَخائِها وجَـــرَتِ الآمال فى رخائها

وزخرتْ بالعــلم والبيان وأخرجتْ فرائدَ الأعيـــانِ

حاز لواء الشعر فيها الزّرْدَق(٢) جرير والأخطل والفرزدق

وما رأى المنبرُ من عِطْفٍ مَلَكْ كابن أبى سفيانَ أو عبدِ الملكْ

أو كزيادٍ خطبةً إذا انبرى والثقفى(٣) حـــين يرقى المنبرا

ورزقتْ أربابَ سيفٍ قادهْ أعطتهمو الممالكُ المقـــادهْ

فنـــابها المهلّبُ الغضنفرُ وغابهـــا قتيبة المظفَّـــرُ

سل ثَبَجَ البحر وعرضَ البرِّ عن طول باع الفاتحين الغُرِّ

ابنِ نُصيرٍ مرسِـــلِ البُزاةِ والحَكَمِ الحـــاكم فى الغزاة

* * *

أما دمشـــقُ فقرُ المُلكِ ومقعد التـاج ونَظمُ السلكِ

بل شامةُ الشامِ وجنةُ الثرى ترِفُّ فردوساً وتجرى كوثرا

---

(١) حجر الأرض الرجل العظيم (٢) الزردق الصف (٣) الحجاج

مهدُ معالى مُلكِهِمْ وأسُّها   لا عجبٌ أن يرفعوها للسُّها
ظلّتْ على أيامهـــــمْ تَزيَدُ   تعمرُها يدٌ وتكسوها يدُ
وتُزلِفُ الدنيـــا لها وتُجبَى   وينثنى بها الزمانُ عُجْبا
حتى جلتها دَولةُ الوليـــدِ   فى أزيَنِ الطريفِ والتليدِ
وكَمَلتْ محـــاسنُ العروسِ   وعُوِّذتْ بالجــامع المحروسِ
تأنقتْ يدُ الوليد فيهـــا   واستبقَتْ أكفُّ مُترَفيها
فأصبحتْ حــديقةَ الفنونِ   وهيكلا من مَرمرٍ مسنونِ
تَفيضُ من عجائب العِماره   وحُجَرِ الصـلاة والإماره
ثم هوى أقارُها وأبعـــدوا   فلقتْ بعدَهمو لا تسـعَد

* * *

رمتْ يدُ الدهر بنى مروانا   إن لكلٍّ مصرعٍ أوانا
فذهبوا عن حسناتٍ تُذكَرُ   وسـيئات جمّةٍ لا تُنكَرُ
أما الأمـــورُ فهمو دُهاتُها   دنتْ ودانتْ لهمو جهاتُها
وهم على الأمر العظيم أصـبَرَ   لا يقربون اليأسَ حتى يُقبَروا
أقوى بيوت العرب التئاما   وخـيرُها بيتهمو وئاما
شبّانُهم من طينةِ الأبالسِ   وشيبُهم أنكَرُ فى المجالس
إذا جروْا لغـــايةٍ لم يحفِلوا   ما المركبُ الأعلى ولا ما الأسفلُ
منهم من استحسن قتلَ الآلِ   ولم يخفْ مساوئَ المآلِ
ومن رمى الكعبةَ بالحجارهْ   وذعر البيت وراع جارهْ

ومنهمو من مزّق الكتابا   معاتباً ، يا قبحَه عتاباً !

عاقر غلمانُهمو المُداما   ولازموا القيان والنّدامى

وانغمسوا فى الشهوات والترفْ   وأفسدوا شبّانَ أبناء الشرفْ

رَعوْا على اليقظةِ ثم ناموا   فأصبحت للأسد الأغنام

جنى عليهم سَرَفُ الأبوّةْ   وبَغيُهم على بنى النبوّةْ

ونصبُهم للحُكم كلَّ غاشِم   جرتْ يداه فى دماء هاشِم

ولعنُهم خُلاصةَ الأكابرِ   أبا الزّكيّيْنِ ، على المنابرِ

وغدرُهم بابن نصيرٍ الوفى   مُشيّدِ الدولة فى البرّ وفى

أمسوْا حماهم حرمُ الأمانِ   وأصبحوا طريدةَ الزمانِ

مروانُ وهو منتهى أُميّةْ   لم يفقدِ العزمَ ولا الحميّةْ

قاتلَ حتى خانه المجالُ   وأسلمتْ دولتَها الرجالُ

والجندُ كالدنيا مع الموفّقِ   أعوانُه على الشقىّ المُخفِقِ

فلم يزلْ من بلدٍ إلى بلدْ   بالنفس ينجو والنساء والولدْ

حتى رمى مصرَ به المصيرُ   وهُيِّئتْ قبراً له بوصيرُ

وآلُه بين مخالبِ الأسدْ   ينتزعُ الروحَ ويهتِكُ الجسدْ

قد وطِئوا النّطوعَ لا النمارقا   وطأطأوا للسائف المفارقا

دنياهمو مسدودةُ المذاهبِ   ودورُهم لواهبٍ أو ناهبِ

وحزبُهم ممتنِعُ الهُدوّ   حثيثةٌ فيهم يدُ العدوّ

حتى إذا قيل خلتْ مروانُ   وذهب السلطانُ والأعوانُ

تلفتَ الناسُ وراءهمْ عَجَبْ ... الكوكبُ الشرقيُّ في الغرب احتجبْ
صـــقرُ قريشٍ منعوه جِلّقَا ... فطار في قرطُبـــةٍ وحلّقا
أنشأ مُلْكاً أمويّاً ضخما ... كمُلْك كسرى رُقْعةً وتَخْما
ودولة قصّر عنهـــا قيصرُ ... مما بها المدْن المصر
زهراء في قرطبـــةٍ تألّقُ ... بغدادُ منها اقتبستْ وجلّق

صقر قريش (عبد الرحمن الداخل)

موشح أندلسى

مِن لِنِضوٍ يَتَنَزَّى[1] أَلَمَا ... بَرَحَ الشوقُ به فى الغَلَسِ
حَنَّ للبانِ وناجَى العَلَمَا ... أين شرقُ الأرضِ من أندلسِ

* * *

بلبلٌ علَّمه البينُ البيانْ ... بات فى حَبل الشجون ارتَبَكا
فى سماءِ الليلِ مخلوعُ العِنانْ ... ضاقت الأرضُ عليه شَبَكَا
كلما استوحش فى ظل الجِنانْ ... جُنَّ فاستضحك من حيث بَكى
ارتدى بُرْنسَــــه والتَّثَما ... وخَطا خُطْوةَ شيخٍ مُرْعَسِ[2]
ويُرى ذا حَـدَبٍ إن جَثَما ... فإن ارتدَّ بدا ذا قَعَسِ[3]

* * *

فَمُه القانى على لَبَّتِـــه ... كبقايا الدَّم فى نَصْل دقيقْ
مَدَّه فانشَقَّ من مَنبتِه ... من رأى شِقَّىْ مَقَصٍّ من عَقيقْ
وبكى شَجْواً على شُــعْبَتِه ... شجوَ ذات الثُّكل فى السَّتر الرقيقْ
سَلَّ من فيه لِساناً عَنَماً[4] ... ماضياً فى البَثِّ لم يَحتبِسِ

---

(١) يتنزى : يتوثب (٢) المرعس من رعس الرجل : اذا مشى مشياً ضعيفاً من الاعياء
(٣) القعس ضد الحدب وهو نتوء الصدر (٤) العنم شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب

وَتَرٌ من غير ضَرْب رَنّمــــا   فى الدّجى أوشررٌ من قبَس

* * *

نَفَرت لوعتُه بعــــد الهُدوءْ   والدُّجى يبتُ الجوى والبُرَحا
يَتمــــايا بجَنــــاح ونَنوءْ   بجَناح مــــذ وهَى ما صَلحا
ساءه الدهرُ وما زال يسوءه   ما عليــــه لو أسَا ما جَرَحا
كلّما أدمى يــــديه نَدَما   سالتَا من طوْقه والبُرْنس
فَنبتْ أهــــدابه إلاّ دَمَا   قام كالياقوت لم يَنْبَجِس [1]

* * *

مَدّ فى الليــــل أنينًا وخَفَقْ   خفقَانَ القُرط فى جنْح الشَّعَرْ
فَرغَتْ منه النّوى غير رَمَقْ   فَضْلَةَ الجرح إذا الجرحُ نَعَر [2]
يتلاشى نَزَواتٍ فى حُرَقْ   كذ بَالِ آخرَ الليــــل استعَرْ
لم يكن طوْقًا ولــكن ضَرَما   ما على لَبّته من قَبَس
رحمةُ الله له هــــل علِما   أن تلك النفس من ذا النفَسِ

* * *

قلت للّيل وللّيــــل عَوَادْ   من أخو البَثّ فقال : ابنُ فِراقْ
قلتُ : ماواديه ، قال: الشجوُ وادْ   ليس فيه من حجاز أو عِراق
قلتُ : لــكن جفنه غير جوادْ   قال : شرّ الدمع ما ليس يُراق
نَغبِط الطّيرَ وما نعــــلم ما   هى فيــــه من عذابٍ بَئِس

---

(١) لم ينبجس : لم ينفجر   (٢) يقال جرح نعار أى جياش بالدم

فـــدَعِ الطَّيرَ وحظاً قُسِما صَيّرَ الأيكَ كدُور الأنسِ

* * *

ناحَ إذ جَفناى فى أَسْرِ النّجومْ رسَفا(١) فى السُّهد والدّمعُ طليقْ
أيها الصارخ من بحر الهمومْ ما عسى يُغْنى غريقٌ عن غريقْ
إن هـذا السّهمَ لى منه كُلُومْ كانْنـــا نازحُ أيكٍ وفريق
قلّبِ الدّنيا تجــدها قِسَماً صرّفَتْ من أنعُم أو أبؤُسِ
وانْظرِ الناسَ تَجِدْ من سَلِما من سهام الدهر شجّته القِسِى

* * *

يا شبابَ الشرق عنوان الشّباب ثمرات الحسَب الزّاكي النّميرْ
حَسبُكم فى الكرم المحض اللُّباب سِيرةٌ تَبقى بقاء ابنَىْ سمير(٢)
فى كتاب الفخر (للداخل(٣)) بابْ لم يَلجْه من بنى المُلك أمـــير
فى الشموس الزُّهرِ بالشام انتمى ونَمى الأقمـــارَ بالأندلس
فمَدَ الشرقُ عليهم مأتمـــا وانثنى الغربُ بهم فى عُرُس

* * *

هل لـكم فى نبأ خير نَبَـأْ حِليــةِ التاريخ مأثور عظيمْ
حل فى الأنبـــاء ماحلّت سَبأْ منزل الوُسطى من العقد النّظيم
مثله المقــــدارُ يومًا ما خَبَأْ لسليب التــاج والعرش كَظيم
يُعجزُ القُصّـــــاصَ الاقلَما فى سوادٍ من هوى لم يُغمَسِ

---

(١) رسفا : تقيدا (٢) ابنى سمير : الليل والنهار (٣) هو عبد الرحمن الداخل أول ملوك بنى أمية فى الاندلس

يُؤْثِرُ الصِّدقَ ويجزى عَلَمَا   قلبَ العالِمَ لو لم يُطمَس

***

عن عِصابِيّ نبيلٍ مُعْرِقِ   فى بُناةِ المجد أبناءِ الفَخَار
نهضتْ دولتهم بالمشرقِ   نهضةَ الشمسِ بأطرافِ النّهار
ثم خانَ التاجُ وُدَّ المَفرقِ   ونَبَتْ بالأنجم الزُّهرِ الديارْ
غفلوا عن ساهرٍ حول الحِمى   باسطٍ من ساعِدَىْ مُفترس
حام حول الملك ثم اقتحما   ومشى فى الدم مشى الضَّرِسِ

***

ثأرُ عثمانَ لمروان مَجازْ   ودَمَ السِّبْطِ[1] أثار الأقْرَبُونْ
حسّنوا للشام ثأراً والحجازْ   فتَعَالى الناسُ فيما يطلبونْ
مَكْرُ سُوّاسٍ على الدَّهْماء جازْ   ورُعاةٌ بالرّعايا يلعبون
جعلوا الحقّ لِبَغْيٍ سُلّما   فهو كالسّتر لهم والتُّرُس
وقديماً باسمه قد ظَلَمَا   كلُّ ذى مِئْذَنَةٍ أو جَرَس

***

جُزِيتْ مروانُ[2] عن آبائها   ما أراقوا من دِماء ودموعْ
ومن النّفس ومن أهوائها   ما يؤدّيه عن الأصل الفروع
خَلَتْ الأعوادُ من اسمائها   وتَحطّت بالمصاليب الجذوع
ظَلَمَتْ حتى أصابت أظْلَمَا[3]   حاصدَ السيف وبِيُّ المَجْلِس

(١) يعنى بالسبط الحسين بن على صلوات الله عليه   (٢) يعنى بمروان : بنى مروان
(٣) الأظلم هنا هو ابو مسلم الخراسانى صاحب دعوة بنى عباس وقد سلب بنى أمية ملكهم

فطِنّا فى دعوة الآلِ لِمـــــا همس الشّـــانى وما لم يَهْمِسِ

* * *

لبست بُرْدَ النبيّ النّـــيّرات من بنى العبّاس نوراً فوق نور
وقديمـــاً عند مروان تِرات وَ رِكيّاتٍ من الأنفُس نور
فنجا الدّاخل سـبْحًا بالفُرات تارك الفِتنةِ تَطْغى وتَفُور [1]
غَسَّ [2] كالحوت به واقتحَما بين عِبْرَيه عيـــونَ الحَرَسِ
ولقد يُجـــدى الفتى أن يَعلَما صَهْوةَ المــــاءِ ومَتْنَ الفرَسِ

* * *

صحِب الداخلَ من إخــــوتِه حدثٌ خاض الغِمار ابنُ ثمـــانْ
غلَب الموج على قـــــوّته فكأن الموج من جُنْدِ الزّمان
وإذا بالشّط من شِـــقْوتِه صائحٌ صاح به : نِلتَ الأمان
فأتتى مُنْخَدِعًا مُسْتَسْــلِما شاةٌ أغرَتْ بعَهد الأطْلَسِ [3]
خضَب الجنْدُ به الأرضَ دَما وقلوبُ الجند كالصّخر القَسِى

* * *

أيها اليائسُ متْ قبل المَمات أو إذا شئتَ حيـــاةً فالرّجا
لا يَضِقْ ذَرْعُك عند الأزَمات إن هى اشتدّت وأمِّلْ فَرَجا
ذلك الداخـلُ لاقى مُظلِماتْ لم يكن يأمُـــل منها مَخرَجا
قـــد تولّى عزّه وانصرما فمضى من غَـــدِهِ لم ييأسِ

---

(١) ثارت الفتنة . وقعت وانتشرت (٢) غس : دخل ومضى (٣) الأطلس : الذئب

رام بالمغرب مُلْكاً فرى أبعدَ الغَمْرِ وأقصى اليَبَس

* * *

ذاك واللهِ الغنى كلُّ الغِنى أىّ صعبٍ فى المعالى ما سَلَك
ليس بالسائل إنْ همّ بتى لا ولا الناظرِ ما يُوحى الفَلك
زايـــل المُلكُ ذَوِيه فأتى مُلكَ قومٍ ضيّعوه فملك
ثَمَراتٌ عارضَت مُقْتَحِما عالِىَ النفس أشمَّ المَعْطِس (١)
كلّ أرضٍ حلّ فيها أو رمى منزِلُ البدرِ وغابُ البَيْهس (٢)

* * *

نَزَل النّاجى على حُكْمِ النّوى وتوارى بالسُّرى من طالبيهْ
غيرَ ذى رَحْلٍ ولا زادٍ سوى جوهرٍ وافاه من بيت أبيـــه
قمرٌ لاقى خسوفاً فانزوى ليس من آبائه إلاَّ نَبِيــــه
لم يجِدْ أعوانَه والنُّـــدما جانبوه غيرَ (بدر) الكَيِّس
من مَواليـــه الثقات القدَما لم يخنه فى الزمان المُونِسِ

* * *

حــين فى إفريقيا انحل الوِئامْ واضمحلّت آيةُ الفتح الجليل
ماتت الأمة فى غـــير التمام وكثير ليس يلتامُ قليـــلْ
يَمَنٌ سَلّت ظُباهـــا والشآم شامَها (٣) هندية ذاتَ صليل
فـــرّق الجندَ الغِنى فانقسما وغـــدا بينهم الحقُّ نسى
أوحش السؤددُ فيهـــم ومَما للمعـــالى من به لم تأنَس

---

(١) المعطس : الأنف (٢) البيهس : الأسد (٣) شام : سل

***

رُجِمــــوا بالعبقريّ النابه   البعيد الهمّةِ الصّعْبِ القِياد
مـــدّ في الفتح وفي أطنابه   لم يقف عند بناء ابن زياد(١)
هجرَ الصيد فـــا يُعنَى به   وهو بالملك رفيقٌ ذو اصطياد
سَلْ به أندلسا هــل سَلِما   من أخي صيد رفيق مَرِس(٢)
جرّد السيفَ وهــــزّ القلما   ورمى بالرأى أمّ الخُلَس(٣)

***

بســـلام يا شراعا ما دَرَى   ما عليه من حَياء وسَخاء
في جَناح المَلَك(٤) الرُّوح جَرى   وبريح حفها اللطفُ رُخاء
غسَل اليمُّ جِراحاتِ الثّرى   ومحا الشّدةَ من يمحو الرّخاء
هــل دَرى أندلس من قدِما   دارَه من نحو بيت المَقدِسِ
بسليل الأُمَويّيــن سَما   فتحُ موسى مُستَقَرّ الأسس

***

أُمَويٌّ للعُلا رحلَتُــــه   والمعـــالى بمَطِيّ وطُرُق
كالهـــلال انفردَت نُقْلته   لا يُجاريه ركابٌ في الأفُق
بُنِيتْ من خُلُق دُولتُـه   قد يَشيد الدُّوَلَ الشمّ الخُلُق
وإذا الأخلاقُ كانت سُلّما   نالت النّجمَ يَدُ المُلتمِس
فارْقَ فيهـا تَرْقَ أسباب السّما   وعلى ناصيةِ الشمس اجْلِس

---

(١) هو طارق بن زياد مولى موسى بن نصير فاتح الأندلس في عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى (٢) المرس : الشديد المجرب في الحروب ، يقال : انه لمرس حذر (٣) الخلس جمع خلسة وهي الفرصة (٤) الملك الروح : جبريل

***

أىّ مُلْكٍ من بنايات الهِمَمْ | أسّسَ الداخلُ فى الغربِ وشاد
ذلك الناشئُ فى خيرِ الأمم | ساد فى الأرض ولم يخلق يُساد
حكّمت فيه الليالى وحكّمْ | فى عواديها قِيـــاداً بِقياد
مُسـلِب العزّ بشرقٍ فرَمى | جانبَ الغرب لعزّ اقعَس
وإذا الخيرُ لعبـــدٍ قُسِما | سنَحَ السّعدُ له فى النّحَس

***

أيها القلب أحقٌّ أنتَ جارْ | للذى كان على الدهر يجيرْ
ها هنا حلّ به الرّكب وسارْ | وهنا ثاو إلى البعث الأسير
فَلَكٌ بالسّعد والنحس مدارْ | صَرع الجامَ(١) وألوى بالمُدير
ها هنا كنتَ ترى حُوّ الدُّمَى | فاتنـــاتٍ بالشّفاه اللُّعُس(٢)
ناقلاتٍ فى العبـــير القَدَمَا | واطئاتٍ فى حَبيرِ السُّنْدس

***

خُذْ عن الدّنيا بليغَ العِظَةِ | قد تجـــلّت فى بليغ الكَلِم
طرَفاها جمعـــا فى لَفظةِ | فتأمّل طرَفيْهـــا تَعلمِ
الأمانى حُـــلُمٌ فى يقظةٍ | والمنايا يقظةٌ من حُلُمِ
كلُّ ذى سِقْطَيْن(٣) فى الجوّ سما | واقعٌ يومًا وإن لم يُفرَس
وسياقٍ حَيْنــــه نَسر السما | يوم تطوى كالكتاب الدرس

***

---

(١) الجام : الكأس (٢) اللعس : سواد مستحسن فى الشفة (٣) السقط جناح الطير

أين يا واحدَ مروانَ عَـــلَمْ   من دعاك الصقر سمّاه العُقاب[1]

رايةٌ صرّفها الفَرْدُ العَـــلَمَ   عن وجوه النصر تصريفَ النقاب

كنت إن جرّدتَ سيفاً أو قلم   أُبْتَ بالألباب أو دِنْتَ الرّقاب

ما رأى الناسُ ســـواه عَلَما   لم يُرَمْ فى لُجَّـــةٍ أو يَبَس

أعلى رُكْنَ السّماك ادّعَما   وتَمطّى بجَناح القُـــدُس

* * *

قصرُك (المُنيـة) من قُرْطبة   فيه وارَوْك وللّه المَصـــير

صَــــدَفٌ خُطَّ على جوهرة   بيد أن الدهر نبّاشٌ بصـــير

لم يدع ظلا لقصر (المنيـــة)   وكذا عمر الأمانىّ قصـــير

كنتَ صقرا قُرَشيًّا عَـلَما   ما على الصـــقر إذا لم يُرْمَس

إنْ تَسَلْ أين قبورُ العُظما   فعلى الأفـواه أو فى الأنفُس

* * *

كم قبورٍ زينت جيدَ الثرى   تحتها أنجسُ من مَيْتِ المجوس

كانَ مَن فيها وإن حازوا الثرى   قبل موت الجسم أموات النفوس

وتماثيلُ تَزَكّى صُبُراً   من ثناء صِرنَ أغفال الرموس

فاتخذ قبرك من ذكرٍ فما   تَبنِ من محموده لا يُطْمَس

هلك من جوهر ... الهرما   أين بانيــــه المنيعُ الملمس

---

(١) العقاب: اسم راية الداخل

خلافة عبد الله بن الزبير

خليفةٌ ما جاء حتى ذهبا ‏ ‏ ضاع عليه الدمُ والمال هبا

الصاحبُ ابنُ الصاحب الكريم ‏ ‏ الجلـلُ المطّلَب والغريم

ابنُ الزبير وكفى تعريفا ‏ ‏ إن الشريفَ يلدُ الشريفا

أبوه هَضْبةُ العلا الشمّاء ‏ ‏ وأمُّه في الشرف السماء

مستقبلُ الأيامِ بالصيامِ ‏ ‏ ومُتعبُ الظلام بالقيامِ

وأخوَفُ الناس إذا الليلُ دجا ‏ ‏ وأشجعُ الناس إذا تدبّجا

وأطهرُ المجاهدين ذِمّةْ ‏ ‏ وأكبرُ المجاهدين هِمّةْ

وثبًا من الخوارج الشدادِ ‏ ‏ الى بنى أميـة اللدادِ

الى مداراة بنى العباس ‏ ‏ والعلويين الشدادِ الباس

فانتظمتْ أهلَ الحجاز بيعتُهْ ‏ ‏ واحتكمت في البصرتين شيعتُهْ

ودخل العراقُ في وَلائِهِ ‏ ‏ وخرجتْ مصرُ على أعدائِهِ

فضاق مَرْوانُ به ذراعا ‏ ‏ وانخرعت قدرته انخراعا

بابن الزبير لا يقاس ابن الحكَمْ ‏ ‏ لا ترفعُ الأحكامُ كلَّ من حكمْ

لا يستوى مَن عُمرَه تحنفا ‏ ‏ ومَن رسولُ الله أقصى ونفى

مروانُ ليس للأمور صاحبا ‏ ‏ وإن غدتْ لذيلِه مساحبا

جرّ على عثمانَ ما قد جرّا ‏ ‏ أراد أن ينفعه فضرّا

رب عـــدوٍّ عاقلٍ أشكاكا ورب وِدٍّ جاهـــلٍ أبكاكا
لـكنه أبو النجوم الزُّهْرِ مصابحِ الأمرِ مُلوكِ الدهرِ
حدّثْ إذا باهى الملوكُ بالولدْ عن حَجَرِ الأرض وبيضةِ البلدْ
يدنو بنو المنصور من أبنائِهِ فى الرفق بالملكِ وفى بنائِهِ
ما كسليمانَ ولا عبدِ الملِكْ ولا الوليدِ عاهلٌ ولا مَلِكْ

***

لـــما أتى ابنَ الحكمِ الحِمامُ آل لعبـــد الملك الزمام
فيا شقاء ابنِ الزبير! ما لقى؟ لقد أصيبَ بالدهىِّ الفياق [1]
فتى مـــن النوابغ المُرّادِ إن همّ لم يُثْنَ عن المرادِ
قـــد نضجتْ آراؤه غلاما ورُزِق الهمةَ والكلاما
وكان فى الشرعِ شراعَ الأمّهْ وفى الحديث مُستقَى الأئمهْ
فاق فلولا بخلُه وغـــدرُهُ فات مقاديرَ الملوك قدرُهُ
ما زال فى الشام إلى أن راضها ضمّ قواها وشفى أمراضَها
فاجتمعتْ لذى دهاءٍ حُوّلِ كعهدها بالأموىّ الأولِ
رمى بهـــا مجموعة مُعدّهْ إن النظامَ عَـــددٌ وعُدّهْ
فظفرتْ بفِرَق الخـــوارج من داخلٍ فى طاعةٍ وخارجِ
ولم تدعْ لابن الزبير جمعـــا الا أراها طاعـــةً وسمعا
بعد حروبٍ واثليّةِ الحرَبْ لولاشياتُ[2] الرومِ ضاعت العربْ

---

(١) الفياق الرجل العظيم (٢) أى توهم وغفلتهم

أحستِ المــــلةُ فيها بالغرر[1] ورُمِيَ البيتُ العتيقُ بالشررْ

وطاح فيهـا مُصعبٌ كريمـا يحمى كليث الغابة الحـــريما

وضاق عبد الله عن عبد الملكْ ورأيهِ الوضاء فى الخطب الحلكْ

انصرف الـكُرّارُ والـكُماةُ وانحرف الأنصارُ والحمــــاةُ

أسلمه الأهلون حتى ابنـــاه وخــــذلتْ شِمالَه يمناه

فجـــاء أمّــه، ومَن كأمّه ؟ لعلهـــا تحمل بعضَ همّهْ

والبيتُ، تحت قسطلِ الحجّاجِ وخيلُه أواخــــــذُ الفِجاجِ

فقـــال ما ترينَ فالأمرُ لكِ للموت أمضى أم لعبد الملكِ ؟

قالت بنيَّ وَلَدَ القـــوّامِ وابنَ العتيق القائم الصوّامِ

أنظرْ فان كنتَ لدينٍ ثرتَ فلا تفارقْ ما اليــــه سرتَ

أو كانت الدنيا قُصارى همتكْ فبئس أنت، كم دمٍ بذمتك ؟

إلحقْ بأحرارٍ مضوْا قد أحسنوا فالموتُ من ذلّ الحياة أحسنُ

ولا تقلْ هنتُ بوهْنٍ من معى فليس ذا فعْلَ الشريف الألمعى

ومُت كريمًا أو ذُقِ الهـوانا وعبَثَ الغِلمان من مرْوانا

أنت إلى الحقّ دعوتَ صحبَكا فاقضِ كما قضـوْا عليـه نحبَكا

ولا تقلْ : إن متُّ مَثَّلوا بى وطافَ أهلُ الشام بالمصلوبِ

هيهـــات ما للسّلخ بالشاة ألمْ وربّ جِـذعٍ فيـه للحق عَلَمْ

وعانقتْــــــه فأحستْ دِرعًا قالت : أضِقتَ بالمَنون ذرعا ؟

---

(١) الغرر الخطر

مثلُك فى ثيـــابه المُشَمّره جاهد لا فى الحلَق[1] المسمّرهْ

لا تمض فيها وأرحْ منها الجسدْ وامض بلا درع كما يمضى الأسدْ

فنزع الثوبَ عنـــه وانطلقْ فى قلة يلق العديدَ فى الحَلَقْ

فمات تحت المرهفـــات حرا لم يألُ خـــيرَ الأمهات برّا

(١) أى الضلوع

موت ابراهيم الامام والبيعة لاخيه السفاح وخلافته

الأمرُ آل أحسنَ المآلِ يمنِ ابراهيمَ رأسِ الآلِ
فتى العفافِ والحجى والنائلِ ومعدنِ الأخلاقِ والفضائلِ
دعى القرى لأمره فلبّتِ وحضنَ الدعوةَ حتى شبّتِ
ومات لا أقولُ فى أثنائها بل وهى عند مُنتهى بنائها
نالتـه فى ناديه للقوم يدْ وصيدَ فى واديه وهو الأصيَدْ
أُلقِيَ فى السجن فكان حُفرتَهْ أماته الله وأحيا أُسرتَهْ
بينا به تهامسُ النُّعاةُ إذ بأخيه هتف الدُّعاةُ
بويع فى الكوفة للسفّاحِ فى ثَبَجِ الدعوة والكفاحِ
نعى أُخاه ونعى أُميّهْ وقام بالدولة هاشميّهْ
فى جمعة مشهودةٍ هى المُنَى هشّ اليها عرفاتُ ومِنَى
فكانتِ الكوفةُ مَبزَغَ القمرْ قد طلع السعد به على الزُّمَرْ
بُويعَ فيها النفرُ الأعلامُ ونال عُليا الدولِ الإسلامُ
قام أبو العباس بالإمامه ابن جلا المُسوّد العمامه
فتى تضاءلُ الفُتُىّ حوله داعٍ لمُلْكٍ داعمٌ لدولهْ
كالبدر فى سمائه بل أجملُ لو كان فوق الأرض بدرٌ يكملُ
قد رجع الأمرُ به للأربَعِ واجتمع الأمرُ له فى أربَعِ

إنّ الغيوث لم يَعِدْ إلا صَدَقْ ... ولم يَجُدْ الا استهلّ وغَدَقْ
أليَنُ من صَمصامةٍ وأقطعُ ... لا يعرفُ الرحمةَ حين يُقطعُ [1]
قد كان بين الدولتين يومُ ... عزّ به قومٌ وذَلّ قومُ
التقتِ الأحزابُ بالأحزابِ ... واقتتل الجمعان حول الزابِ
نهرٌ جرى الأمرُ العظيمُ حولَهْ ... عُبــــور دولةٍ ونشأُ دولَهْ
وكان مروان أتمّ فيلقـــا ... وجنـدُ عبد الله أوفَى فى اللقا
فأجزل اللهُ من الإظهار ... والنصرِ لابن السادة الأطهـارِ
ما غربتْ شمسُ نهار البـــأ ... حتى بدتْ شمسُ بنى العباسِ
م أملوا كيوشعَ الإدالهْ ... والنصرَ قبـل غيبـة الغزاله
فـكانت النيــــةُ ذات شأنِ ... وكادت الشمس لهم تستأنى
تصرمت دولة عبـدِ شمسِ ... ودبرتْ أيامُهم كأمسِ
بعبد شمسٍ فاز عبدُ المطلبْ ... لا كفء للغالب الا من غُلِبْ
فذ خـلا الجوُّ لسيفِ هاشِمِ ... هبّ هبوب المستبدّ الغاشِمِ
المستبيح فى دخول البيتِ ... هــــلاكَ حيّ وانتهاكَ ميت
فهتك القبورَ وهى حُرمهْ ... من مات فاترك للمميت جُرْمه [2]
ومُنيتْ أميــــةٌ بساطِ [3] ... أبدلها النّطعَ من البساطِ [4]
وكلّ جُرمٍ واقعُ العقـابِ ... ولو على الأنسال والأعقابِ
ثم قضى مُقتبلَ الشبابِ ... عن دولة مُقبلةِ الأسبابِ
ففقدتْ به القرى حيــــاها ... ومات بالأنبار من أحياها

---

(١) أى يعق وتقطع رحمه (٢) أى ذنبه لأن الميت لا يعاقبه الا الله (٣) أى ذى سطو
(٤) النطع ما كان يفرش ليقتل عليه الناس

أبو مسلم الخراسانى الداعى للعباسيين

الأصلُ فى كلّ بنايةٍ حَجرْ   وإنْ زهتْ بالشُرُفات والحُجَر
معتمدُ الأركان والقواعدِ   وســـنَدُ العالى بهن الصاعدِ
فان وقفتَ مُطرِىَ البنـــاء   فاعطِفْ على الأساسِ فى الثناء
وهـــذه الدولةُ قد دعا لها   وقاد فى ظهـــورها رِجالَها
أغرُّ من سوابق الإســـلامِ   فوارسِ اللقـــاء والكلامِ
اختلفوا فى أصـــلِهِ وفصلِهِ   والسيفُ يومَ النسب ابنُ نَصلِهِ
فقيل حـــرٌّ عربىٌّ الوادى   وقيل عبـدٌ من بنى السوادِ
وقيل كانــ يَدّعى العباسا   ويرتدى لهاشمٍ لباســـا
خاض الخراسانىّ فى العشرينا   على بنى أميّـــةَ العرينا
فلقيتْ دَعـــوتُه رواجا   ودخلتْ فيها القرى أفواجا
وقوبلتْ فى الفرس بالمُحبّذِ   من كلّ دهقانٍ وكلّ موبذٍ(١)
لبخل مروانَ عليهم بالنِّعمْ   وتركهم سُدّى كأهمال النَّعمْ
وقَرَعَ الساقَ لها من العربْ   من لا له فى الأمويين أربْ
ربيعة انحـازت اليهـا ويَمنْ   أظهرتا من ضغَنٍ ما قد كمنْ
فكم جفاها بنـــو مروانا   واصطنعوا من مُضَرَ الأعوانا

---

(١) أصلها موبذان وهو القائد الفارسى

وبالغوا فى البِرّ والقيــــامِ   وشـــاطروها نِعَمَ الأيامِ
وهى لما يقترحون أجـــرى   وهى على بنى النبىّ أجـــرا
جاء ابو مســـلم الخراسِنى   أبدلها من رائقٍ بآسنِ
زُمُوا بماضى الحدّ لا يمينُ(١)   داهيـــةٍ فى رأيه كمين
تقتبسُ الشبّان من مَضائِه   وتنزِلُ الشيّب على قضائِهِ
يَصيدُ بالصّـــلاة والصِّلاتِ   ويقنصُ الولاةَ بالولاةِ
يُمينُه قحطبةٌ ذو البـــاس   أولُ قُوادِ بنى العبـــاس
بخيلهم جاب البـــلادَ وفَرَى   وقام بعدَه ابنُـــه مُظفرا

---

(١) لا يكذب

الدولة العباسية

سِلْكُ لآلٍ من بنى الأعمامِ ... ومُلْكُ آلٍ من بنى الغمامِ

بجَدِّهم فى السنة (1) استسقى عُمَرْ ... هزَّ الغمامَ بالغمام فانهمرْ

ودُولةُ الحق بدتْ للناسِ ... بين رضى الخلْق والاستئناسِ

وعدُ النبيِّ فى الحياة عمَّهْ ... الله من بعدها أئمَّهْ (2)

ولستَ تدرى مَن بنى أساسَها ... أعجبُ، أم مَن شادها وساسها ؟

أقبل بنيها من الفتيانِ ... عِصابةٌ محسنةُ البُنيانِ

قد نفروا للأمر فى أوقاتهِ ... والأمرُ يستأنِسُ فى ميقاتِهِ

وانتخبوا الأبطال للمجالِ ... والخيرُ فى تخيُّر الرجالِ

ونقدوا الآراء والسيوفا ... فنفَوا الكلولَ (3) والزيوفا

سلُّوا خراسانَ ونعم الماضى ... فى الأمر مستقبلِه والماضى

خفَّتْ لداعيهم ولبَّتْ الطلبْ ... واعتصمَ المأمونُ فيها فغلبْ

لأهلها فيهم هوى وثارُ (4) ... وفى مَهبِّ الريح تقوى النارُ

رموْا بها فجدلوا أميَّهْ ... وكلُّ سهمٍ وله رَميَّهْ

بالشام صادوا الملكَ والإمامهْ ... ما بال بازيهم غدا حمامهْ

حقيقةٌ ليس لها مُفنِّدُ ... كل مُهنَّدٍ له مُهنِّدُ

---

(1) السنة القحط (2) اشارة الى تبشير الرسول عليه السلام عمه العباس بالخلافة فى بنيه

(3) الكلول التى لا تقطع (4) الثار الأول الرأى

أبو جعفر المنصور

استخلف المنصورَ في وصاتهِ — إن اختيار المرء من حَصاتهِ
ابن أبيه وسراج بيتهِ — الخلفاء لَمَحاتُ زيتهِ
حَبرُ بني العباس، بحر العلمِ — قطبُ رحى الحرب، مدار السِّلْمِ
فلم يكدْ بالأمرِ يستقلُّ — حتى تلقّى فتنةً تُسَلُّ
قد فرغ الأهلُ من الغريبِ — واشتغل القريب بالقريبِ
ثار بعبد الله ثأرُ الحسدْ — وزعم الغابَ أتى غيرَ الأسدْ
وأن مروانَ اليه سلّما — وأن يومَ الزاب يكفي سُلَّما
انقلب العمُّ فصار غمّا — وفدح الأمرُ به وطمّا
جاء نصيبينَ وقد شقّ العصا — فيمن بغى الفتنةَ صيداً وعصى
ما فلّ حدّهم عن المنصورِ — سوى أبي مسلم المصورِ
سلّ عليه سيفَه ورايَةْ — فلم تقف لابن عليّ رايةْ
وهُزمَ الطاهرُ يومَ النهرِ — وعرف القاهرُ طعمَ القهرِ
ومن يحاولْ دولةً ومُلْكا — يُلاقِ نُجحا أو يُلاقِ هُلْكا

***

واستطرد الحينُ بنوةَ الحسنْ — واجتمعوا فامتنعوا على الرسَنْ
وطلبوا الأمرَ وحاولوا المدَى — وبايعوا راشدَهم محمّدا

وكان مقداما جريئا مجرّبا طاح على حدّ الظُّبا في يثربا

فثار ابراهيمُ للثاراتِ وأزعج المنصورَ بالغاراتِ

فوجىء والجيوشُ في الأطرافِ بنهضة الدهماء والأشرافِ

مُضطربِ الحجازُ والعراقُ وشغب الغواة والمُرّاقُ

فلم تفُلّ النائباتُ عزمَهْ ولم يَكِلّ عن لقاء الأزمَهْ

تدارك الشدةَ بالأشدا من كلّ من لمثلها أعدّا

وكان يستشيرُ في المصائبِ وهو أخو الرأي السديد الصائب

أمرٌ له كلاهما قد شمّرا وجرّدا السيفَ له باخمرا[1]

فكان بين هاشم من حربِ ما كان بينها وبين حربِ[2]

وكان في أولها للطالبِ على قنا المنصور عزُّ الغالبِ

لولا المقاديرُ القديرةُ اليدِ لأحرز السيدُ مُلْكَ السيّدِ

كرّتْ عساكرُ الإمام كرّهْ على جنود الحسنيّ مُرّهْ

عدتْه عن دعوته العوادى وأسعف الدهرُ أولى السدادِ

وطاب للشريف الاستشهادُ فيما يخال أنه جهادُ

فطاح لم ينزلْ عن الكميْتِ وهكذا أبناء هذا البيتِ

وكثُر القتلى وراح الأسرى على فوات الوَفَياتِ حسْرى

سيقوا إلى يزيدَ أو زيادِ لكن من القرابةِ الأسيادِ

فلم يذق كالحسنيّين البلا ولا الحُسينيون يوم كربلا

مُنوا بقاسى القلب ليس يرحم وليس تثنيه عليهم رَحِمِ

---

(١) موضع كان على فراسخ من الكوفة (٢) حرب أبي أمية

لو طمعتْ فى مُلكِهِ أولادُه ... شفاهمو من طمعٍ جــلادُهُ
هــــذا أبو مسلم التيّاهُ ... غرّته فى دولتهم دنيــاهُ
فطال فى أعراضهم لسانهْ ... ولم يقمْ بمنّه إحسانهْ
ونازع الآلَ جلال القدْرِ ... ونافستْ همّته فى الصدرِ
دعواه فى دعوتهم عريضهْ ... لولاه ظلتْ شمسُها مريضهْ
وهو لفضل الطاهرين ناسِ ... ومالهم فى الحب عند الناسِ
وما علوْا له من المُهمّهْ ... وبذلوا من مدهشات الهمّهْ
وموت ابراهيم حتفَ فيــهِ ... فِدًى لأمرهم وحبًّا فيــهِ
فوغِرَ الوالى عليه صــدرا ... يُظهر عطفاً ويُسِرّ غــدرا
وصاحبُ الدعوة ضاق الدعوى ... يرفُل فيها نخــوةً وزهوا
تطلبُــه السماء كل مَطلَبِ ... لا بدّ للظالم من مُنقلَبِ
فكم أدارها على المنونِ ... وكم أراقها على الظنونِ
هـذا الذى جنى أميةَ الكرى ... كان أبو جعفرَ منه أنكرا
قـد يقـع الثعلبُ فى الحُبالهْ ... وتتّقى الفراشــة الذُّبالهْ
أفنى القضاء حيـلةَ الخراسِى ... وعصفت رياحُه بالراسى[1]
وســاقهُ الحَيْنُ إلى الإمامِ ... والنفس تستجر[2] للحِمامِ
فجاء فى موكبٍ مشهودِ ... وفى مدارع من العهـود
أُريدَ بالداهى الردى وما درَى ... وكلُّ غدّارٍ مُلاقٍ أغـدرا
فُكّنتْ منه سيوفُ الهندِ ... وظفر الفرندُ بالفرندِ

---

(١) الجبل (٢) تنقاد

أصيبتِ الدولةُ فى غسلِها   وسقط البنّاء من بنائها

***

الخلفاء ولدُ المنصورِ   وعصرُه الزاهى أبو العصورِ
إنْ استهلّتْ بالدماء مُدّتُهْ   فما وقاها الهيجَ الا شِدّتُهْ
ومن يقُمْ بملكِهِ الجديدِ   يَقُدْه بالحرير والحديد
لا ترجُ فى الفتنة رفقَ الوالى   قد يُدفع الحُكّامُ بالأحوالِ
أنظرْ إلى أيامه النواضرِ   وظلّها الوارفِ فى الحواضرِ
عشرون فى المُلْكِ رفقْنَ أمْنَا   وفضْنَ نماء ، وسِلْنَ يُمْنَا
خلافةٌ ثبّتها قواعدا   ثم ترقّى بالبناء صاعدا
أدرُّ من صوب الغمام دخلا   على أشدِّ الخلفاء بُخلا
يخافُ فى مالِ العباد اللهَ   ما تبع الدنيا ولا تلاهى
للسلم آلاتٌ وللحرب أهَبْ   جماعهن فى الممالك الذهبْ
وحوّل المنصورُ مجرى العهدِ   أخّر عيسى وأقام المهدى
فكان فى تقديمه الإصلاحُ   وفى بنيه الخيرُ والفلاحُ
ولا تسلْ عن همّةِ العقولِ   ونهضةِ المعقول والمنقولِ
وكثرة الناقلِ والمُعرِّبِ   عن حكمةِ الفُرسِ وعلم المغربِ
واختطّ بغدادَ على التسديدِ   داراً لمُلْكِ يَسرٍ مَديدِ
كانت لأيام البهاليل مِيمَهْ   ومِهرجانَ مُلْكِهم ومَوسِمَه
ينجمُ فيها النابغُ السعيدُ   وينجب المقتبس البعيدُ

دولة الفاطميين

مَن جعل المغربَ مطلع الضحى ... وسخّر البربر جنداً للهــدى

وصرّف الأيامَ حتى أحدثتْ ... ما كان فى الأحلام أحلامَ الكرى

وأظفر الصابر بالنُجح فيــا ... هزيمة اليأس ويا فوز الرجا !

وتقلّ الدولةَ فى بيت الهدى ... فــلم تزلْ عن طُنُبٍ إلا الى

سبحانه المُلْكُ اليــه وله ... يؤتيه أو ينزعُه ممن يشــا

***

قام إمامٌ من بنى فاطمــةٍ ... خليفة ثم تــلاه من تــلا

ما عجبى للكهم كيف بُنِى ... بل عجبى كيف تأخَّر البنا

جدّهمو لا دين دون حُبِّه ... وأمُّهم بالأمهاتِ تُقْتَــدى

ومذ مضى مضطَهدا والدُهم ... أصبح بالمضطهد اهــتم الملا

أجلّهم عِلْيــةُ كلُّ حِقبةٍ ... وخصَّهمْ فيها السوادُ بالهوى

والفرسُ والتركُ جيما شيعةٌ ... لهم يرَوْن حُبّهم رأس التــقى

فشهد اللهُ لهــم ما قصّروا ... القتل صبرا تارة وفى اللقا[1]

كم ثار منهم فى القرون ثائرٌ ... بالأمويين وبالآل الرضى

هــذا الحسينُ دمُه بكربلا ... روّى الثرى لما جرى على ظما

---

(١) تعرضوا للقتل صبرا أى فى الحبوس وللموت تحت ظلال السيف

واستشهد الأقمارُ أهلُ بيتِهِ … يهوُون فى الترب فرادى وثُنا

ابن زياد ويزيدُ بغيـــا … واللهُ والأيامُ حربُ من بغى

لولا يزيدُ بادئًا ما شربتْ … مروانُ بالكأس التى بها سقى

* * *

وثار للثـــارات زيدُ بن على … بن الحسين بن الوصىّ المرتضى

يطلبُ بالُحجة حقّ بيتـــه … والحقُّ لا يُطلبُ إلا بالقنـــا

فتى بلا رأىٍ ولا تجــربةٍ … جرى عليه من هشامٍ ما جرى

اتخـــذ الكوفةَ درعا وقنا … والاعزلُ الاكشفُ مَنْ فيها احتمى

مَن تكفِه الكوفةُ يعلمْ أنها … لا نصرَ عنـد أهلها ولا غَنا

سائلْ عليًا فهو ذو علمٍ بهـ … واستخبرِ الحسينَ تعلمِ النبا

فمات مقتـولاً وطال صَلبُهُ … وأُحرقتْ جثتُه بعـــد البلى

* * *

على أبى جعفرَ ثارتْ فتيـــةٌ … ما أنصفوا والله فى شق العصا

هم أهلُ بيت الحسن الطاهر أو … من شبّ من بيت الحسين ونما

أيطلبون الأمرَ والأمرُ لهم … قد قرّ فى بيت النبىّ ورسا

يحملُ عنهم همّهُ وغمّـــهُ … أبنـــاء عمٍ نُجُبٌ أولو نُهى

فليت شعرى كان ذا عن حسدٍ … أم بخلِه(١) بلَّنهم إلى القلى ؟

محمــدٌ وأصحمو فى يثربٍ … والقومُ فى الأطراف يذكون(٢) القِرى

---

(١) أى حل أبى المنصور (٢) يحضون

وأمرُ ابراهيمَ فى البصرة قد ... زاد وكوفانُ كرجلٍ غلا
مُلمّةٌ لو لم تصادفْ همّةً ... لأودت الدولةُ فى شرخ الصبا
قام اليها مَلِكٌ مُشمّرٌ ... فى النائبات غيرُ خوّار القُوى
ساق الى الدار خميساً حازها ... وقتل المَهدىّ عند الملتقى
وكان بين جيشه بأخرا ... وبين إبراهيم يومٌ ذولظى
لم يصدُقِ ابنَ الحسَنِ النصرُ به ... أصبح ضاحكاً وأمسى قد بكى
مات بسهمٍ عاثرٍ لم يَرمِهِ ... رامٍ ولكنّ القضاء قد رمى
فلا تسلْ عن جيشه أين مضى ... ولا تسلْ عن بيته ماذا التقى
هاربهم ليس يرى وجهَ الثرى ... ولا يرى مسجونُهمْ غيرَ الدُّجى

***

وما خلا خليفةٌ مُسوّدٌ ... من طالبيٍّ يطلبُ الأمرَ سُدى
يقتَلُ ، أو يُزجُّ فى السجن به ... أو يتوارى أو يُبيده الفلا
يرجون بالزهد قيامَ أمرِهمْ ... والزهدُ من بعد أبيهم قد عفا
لو دامتِ الدنيا على نُبوّةٍ ... لكان للناس عن الأخرى غنى
تخلّقوا نبذَ المشورات فلا ... ينزلُ منهم أحدٌ عما يرى
من لا يرى بغيره وإن رأى ... بعيني الزرقاء[1] كان ذا عمى
وقلما تخيّروا رجالهمْ ... إن الرجال كالفصوص تُنتَقَى

***

---

(١) زرقاء اليمامة يضرب بها المثل فى حدة البصر

قد خالف المأمونُ أهلَ بيتِهِ ... حباً بأبناء الوصيّ وحبا[1]

من أجلهم نضا السوادَ[2] ساعةً ... فقال قومٌ : خلع الوالى الحيا

ولو سَبَا قوادَه وآلَه ... لقلّدَ العهدَ عليّ بن الرضا

فما خلتْ دولته من ثائرٍ ... قد قطع الطرقَ وعاث فى الحمى

جيء بشيخٍ علويٍّ زاهدٍ ... فقبل البيعة بعد ما أبى

تأمرُ باسمه وتنهى فِتيةٌ ... لحيْنه بينهمُ لمن لما

من أهل بيته ولكن فزعتْ ... من جَوْرهم وفِسقهم أمُّ القرى

ورُبَّ غادٍ مُنِيَ الحجيجُ به ... وخُوِّف الخيف ولم يأمن مِنى

وكان زيدُ النار فى أيامهم ... والآخرُ الجزّار عاث وعتا

فظهر الجندُ عليهم وانتهى ... تائبهمْ الى الإمام فعفا

فهؤلاء لم يشنْ غيرَهمْ ... سمعَ بنى حَيْدرةٍ ولا زرى

من حظِّهمْ أن صادفوا خليفةً ... فى قلبه لهم وللعفو هوى

ولم تزلْ تمضى القرونُ بالذى ... أمضى مُصَرِّمُ القرون وقضى

حتى حبا اللهُ بنى فاطمةٍ ... ما مات دونَه الأبوّةُ العُلا

ما طلهم دهرهمو بحقِّهمْ ... حتى إذا ما قيل : لن يفى ، وَفى

ما لأوانٍ لم يئنْ مُقدَّمٌ ... ولا يؤخَر الأوان إن أتى

* * *

سار إلى المغرب ِ من شيعتهم ... فتى غزيرُ الفضل موفورُ الحجى

---

(١) الحنان العطاء (٢) لباس بنى العباس وشعارهم

تشيعت[١] من قبله آباؤه ... فرضع النية فيهم واغتذى

من أهل صنعاء ودون عزمه ... ما صنعت من كل ماض ينتضى

وأين داع بسيوف قومه ... وآخر أعزل شطته النوى

يصبح مطلوبا ويمسى طالبا ... ما قصدت طلابه ولا ونى

يبشر الناس بهاد جاءهم ... وأن مهدى الزمان قد أتى

حتى تملك العقول سحره ... إن البيان نفثات ورقى

ولم يزل متبعا حيث دعا ... للفاطمى ظافرا حيث غزا

مهما رمى بخيله ورجله ... فى بلد أذعن ، أو حصن عنا

فلم يدع من عرب وبربر ... ولم يغادر من صحارى وربى

أجلى بنى الأغلب عن أفريقيا ... عن الجنان والقصور والدمى

لابس أقواما ، تحلى بالتقى ... بينهمو وبالفضيلة ارتدى

قدوة أهل الدين إلا أنه ... فى أدب الدنيا المثال المحتذى

ثم رمى المغرب فاهتز له ... وحث نحو سجلماسة الخطا

قاتلها نهاره حتى بدا ... لأهلها الليل فلاذوا بالنجا

نجاء فاستخرج من سجونها ... تبر خلال كان فى الترب لقا[٢]

أتى به العسكر يمشى خاشعا ... مكفكفا[٣] من السرور ما جرى

وقال يا قوم اتبعوا واليكم ... هذا الخليفة ابن بنت المصطفى

وترك الملك له من فوره ... وسار فى ركابه فيمن مشى

أنظر إلى النية ما تأتى به ... والدين ما وراءه من الوفا

---

(١) تظاهر آباؤه بالدعوة الفاطمية (٢) مطروحا (٣) أى مكفكفا دمع الفرح

ولا تقلْ لا خيرَ فى الناس فكم		فى الناس من خيرٍ على طولِ المدى

* * *

اضطلع المَهدِيُّ بالامرِ فما		قصّر فى أمر العباد عن هدى
وحمل الناسَ على الدين وما		يأمر من رشدٍ وينهى من عمى
انتظمتْ دولتُه أفريقيا		وارفةَ الظلِّ خصيبةَ الذرا
وأصبحت مصرُ، وأمرُ فتحها		أقصى وأعصى ما تمنّى واشتهى
كم ساق من جيشٍ اليها فتى		عسكرَه القحطُ وردّه الوبا
وفتنة من الغيوب أو مضتْ		قلّبتِ المغربَ فى جمرِ الغضا
صاحبُها أبو يزيدٍ فاسقٌ		يُريد أمرَ الناس محلولَ العُرا
وكل مالٍ أو دمٍ أو حُرّةٍ		لناهبٍ وسافكٍ ومَن سبى
يا حبذا المذهبُ لا يرفضُه		من قعد الكسْبُ به ومَن غوى
مات عُبيْدُ الله فى دُخانها		وتعِبَ القائمُ بالنارِ صلِى
فُضّتْ ثغورٌ وخلتْ حواضرُ		وأمرَ الطاغى عليها ونهى
بالمالِ والزرعِ وبالأنفسِ ما		أنسى الوباء والذئابَ والدَّبا[1]
ثم قضى محمدٌ بغمّهِ		والشرُّ باقٍ والبلاء ما انقضى
فلم تنلْ أبا يزيدٍ خيلُه		ولا قنا له الكنانةَ القنا
ارتدّ عن مصرَ هزيعاً جندُه		يشكو من الإخشيدِ مُرَّ المشتكى
واستقبل المنصورُ أمراً بدَداً		ودولةً رثّتْ وسلطاناً وهى

---

(١) الجراد

نارُ الزّناتىّ مشت على القرى　　وغـيّرَ السيفُ الديارَ ومحا

فكان فى موج الخطوبِ صخرةً　　وفى طريق السيلِ شمّاء الرُّبا

مكافحاً مقـاتلا بنفسـهِ　　إن خاب لم يرجعْ، وإن فاز مضى

لم يألُ صاحبَ[1] الحمار مَطلبا　　فى السهل والوعر وسيراً وسُرَى

فأنقـذَ المُدْنَ وخلّص القرى　　وطهّرَ الأرضَ من الذى طغى

وترك المُلْكَ سـلاما لابنِهِ　　والأمرَ صفواً والأقاليم رضى

فتى كما شاءت معـالى بيتهِ　　عِلماً وآداباً وبأساً وندَى

تقيّل الأقيـالَ من آبائهِ　　وزيدَ إقبالَ الجـدود والحُظا

قد حسّنَ المُلْكَ المُعِزْ وغدتْ　　أيامُه للدين والدنيـا حُلَى

أحاط بالمغرب من أطرافهِ　　ودان منـه ما دنا وما قصا

جاءت من البحر المحيـطِ خيلهُ　　تحمل منه الصيدَ حياً ذا طرا

حتى ربتْ وكثرتْ جموعه　　ووفر المـالُ لديه ونما

فاستحوذتْ مصرُ على فؤاده　　وقبـلَه كم تيمتْ له أبا

فاختار للفتح فتى مُختـبَراً　　مَعدِنُه، فكان جوهرُ الفتى

سـيّرَه فى جحفلٍ مُستكملٍ　　للزاد والعُدّةِ والمال الروى[2]

فوجد الدار خلتْ واستهدفتْ　　بموت كافور الذى كان وقى

فلا أبو المِسْكِ بهـا يمنعُها　　ولا بنو العباس يحمون الحمى

قد هيئت فتحاً له لم يدّعِمْ　　على دم الفتيان أو دمع الأسى

---

(١) لقب الثائر الزناتى　(٢) الكثير

فإن يفتْ جوهرَ يوم وقعةٍ ... فكم له يوماً بمصر يُرتضى

اعتدل الأمرُ على مقدمِهِ ... وكان ركنُ المُلكِ ميلاً فاستوى

وجرتِ الأحكامُ تجرى عدلها ... وعرَف الناسُ الأمانَ والغنى

كم أثرٍ لجوهرٍ نفيسةٌ ... الى المُعزّ ذى المآثرِ اعتزى

الجامعُ الأزهرُ باقٍ عامرٌ ... وهذه القاهرةُ التى بنى

وقل إذا ذكرتَ قصريْهِ بها ... على السديرِ والخورنقِ العفا

ودان أعلى النيلِ والنوبُ به ... للفاطميين وقدّموا الجزى[1]

وخضع الشامُ ومن حيالَهُ ... من آل حمْدانَ فوارسِ اللقا

الا دمشق اعتُصبتْ ولم تزلْ ... دمشق للشيعةِ تُضمرُ القِلى

وأتتِ الدارُ[2] بنى فاطمةٍ ... وانتقلَ البيتُ اليهمْ وسعى

فصارت الخطبةُ فيها لهمْ ... والذكرُ فى طُهرِ البقاعِ والدُّعا

حتى إذا الملكُ بدا اتساقُهُ ... ونظمَ السعدُ لجوهرَ المُنى

أتى المعزُّ مصرَ فى مواكبٍ ... باهرةِ العِزّ تكاثرُ الضُّحى

واستقبل القصران يوماً مثلَه ... ما سمعَ الوادى به ولا رأى

خزائنُ المغربِ فى ركابهِ ... تباركتْ خزائنُ اللهِ الملاَ[3]

فاجتمع النيلُ على مُشبهِهِ ... وغمرَ الناسَ سخاءٍ ورخا

وابنُ رسولِ اللهِ أندى راحةً ... وجودُه إن جَرحَ النيلُ أسا

الأرضُ فى أكناف هذا أجدبتْ ... وذا أزاحَ الجدبَ عنها وكفى

(١) جمع جزية (٢) الدار للدينة دار الرسول (٣) الملاء

ولم يزلْ أبو تميم يشتهي بغدادَ والأقدارُ دون ما اشتهى

حتى قضى عنـــد مدى آماله لو تعرفُ الآمالُ بالنفس مدى

انتقل المُلكُ فكانت نقلةً من ذِروة العزّ الى أوْجِ العُلا

جرى نزارٌ كمعَدّ للمدى كما جرت على العُصيةِ العصا

إن يكُ في مِصرَ (العزيز)[1] إنّهُ من المحيط مُلكه الى سَبا

المُسرجُ الخيلَ نُضاراً خالصاً والمُنعِلُ الخيلَ يواقيت الوغى

لم يخلُ من جدٍّ بها أو لَعِبٍ من الميادين الى حرّ الرحى

مُلْكٌ جرى الدهرُ به زهواً وما أقصرَه مُـــلاوةً إذا رها[2]

مضى كأيام الصِّبا نهارُه وكليالي الوصل ليلُه انقضى

كان العزيزُ سدّة الفضل التي انقلب الراجون منها بالحِبَى

لآل عيسى مِن نَدَى راحته وآل موسى قبسٌ ومُنتشَى

وكان مأمونَ بني فاطمةٍ كم كظم الغيظ، وأغضى، وعفا!

أوْدى فغاب الرفقُ واختفى الندى وحُجِبَ الحِلْمُ وغُيِّب الذكا

وحكم الحاكمُ مصرَ، ويحَها! قد لقيَتْ من حُكمِه جَهدَ البَلا

أنمـهـــــا مُختلطٌ مختَبَلٌ يهـدِمُ إن ثار ويبني إن هـدَا

ولم تزلْ من حَـــدَثٍ مُسيَّرٍ الى قتيل العزم واهنِ المَضا

حتى خبا ضياء ذاك المنتـــدَى وعَطِلَ القصران من ذاك السنا

عفا بنو أيوبَ رسمَ مُلـكِهم وغادروا السلطانَ طامِسَ الصدى

---

(١) العزيز وارث المعز (٢) لان وطاب

وجمعوا الناسَ على خليفــةٍ ... من ولَدِ العبـاسِ لا أمْرَ ولا

سبحان من فى يده المُلْكُ ومَنْ ... ليس يجارِ فيـــه إلا ما قضى

* * *

فيـا جزى اللهُ بنى فاطمةٍ ... عن مصرَ خيرَ ما أثاب وجزى

وأخذ اللهُ لهمْ من حاســدٍ ... فى النسبِ الطاهر قال ولغا

خلائفُ النيـــل اليهم يُنتمَى ... إذا القُراتُ لبنى الساقى[1] انتمى

تلك أياديهمْ على لَبّاتِهِ ... مفصـــلاتٍ بالثناء تُجتلَى

كم مُدُنٍ بنوْا ودورٍ شــيّدوا ... للصـــالحات هٰهنا وهٰهنا

هم رفعوا الإصلاحَ مصباحاً فما ... من مُصلِحٍ إلا بنورهم مشى

والـكرمُ المصرىُّ ممـــا رسموا ... بمصرَ من برٍّ وسنُّوا من قِرَى

وكلُّ نَيْروزٍ بمصرٍ رائعٍ ... أو مِهْرَجانٍ ذائعٍ همُ الأُلَى[2]

همْ مزّقوا دروعهم براحِهم ... وكسروا بها الرماحَ والظُّبى

لا العربَ استبقوْا وهم قومهمو ... ولا رعوْا للمغربيّنَ الوَلا

قد ملّـكوا الأبعدَ أمرَ بيتهمْ ... وحكّموه فى العشائر الدُّنَى

وأنزلوا السُّنّةَ عن رُتبتهــــا ... ورفعوا شيعتَهم ومَن غــــلا

وصيّروا المُلكَ إلى صبيانهم ... فوجــــد الفرصة من له صَبا

زداد بغىُ الوزراء بينهم ... وأصبحوا همُ الملوكَ فى المَلــــلا

خليفةُ الرحمنِ فى زاويةٍ ... من الخُمول، والوزيرُ ابنُ جـلا

---

(١) الساقى العباس (٢) أى هم الذين كانوا الأصل فى ابتداعه

مؤلفات المرحوم أمير الشعراء أحمد شوقي بك